حكمة القرآن

الجزء الأول

د. رواء محمود حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حكمة القرآن

الجزء الأول

تأليف

د. رواء محمود حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (البقرة: ٢٦٩)

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، [آل عمران: ١٠٢].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: ١].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد[١]:القرآن الكريم كتاب الحكمة الأول، وقد ورد مصطلح الحكمة في مواضع عدة من القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ﴿البقرة: ١٢٩﴾.

---

[١] ما تقدم هو خطبة الحاجة سنة نبوية، كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها لأصحابه. أنظر:النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ، باب: كيفية الخطبة، حديث (١٤٠٤)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص ١٦٥، أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٩ هـ، (٢١١٨)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]،إسناده صحيح، الالباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط١، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ، ص ٢٥٥، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط١، ١٤٢١ – ٢٠٠٠ م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص ٣، البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ هـ، ٧/ ١٦٤، غير مرفوع، الاصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٨/٧، (تفرد به عفان عن شعبة)، النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط١، مكتبة المؤيد، ١٤٠٨ هـ، ص٣٥٥.

وقوله سبحانه: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} ﴿البقرة: ١٥١﴾.

وقوله تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} ﴿البقرة: ٢٦٩﴾.

منذ سنين طويلة ونحن مهتمون بتتبع مفهوم الحكمة في القرآن الكريم، وكنا نأمل على الدوام بأننا سنفسر كتاب الله سبحانه وتعالى ذات يوم، وها قد من الله سبحانه وتعالى بالانتهاء من الجزء الأول من تفسيرنا للقران الكريم، والذي أسميناه ب (حكمة القرآن)، بفضل الله تعالى.

يتألف هذا الجزء من مجموعة من المؤلفات والأبحاث والدراسات والمقالات السابقة، والتي رأينا أنه حان الأوان لجمعها في هذا الجزء الأول من التفسير، والتي تتضمن منهجنا في تفسير القرآن الكريم، ودراسات تطبيقية للمنهج المذكور.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا بقبول هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به في الدنيا والآخرة.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رواء محمود حسين

٤/ ربيع الأول / ١٤٤١ هـ

١/ ١١/ ٢٠١٩ م

الحكمة الأولى

تفسير الحكمة القرآنية

البحوث والدراسات وأوراق العمل

أرض الله الواسعة

تأملات في الآية (٥٦) من سورة العنكبوت

شعبان/ ١٤٣٥ هـ – حزيران/ ٢٠١٤

(نشر هذا البحث في موقع الألوكة، تاريخ الإضافة: ٢٠١٤/٦/٣٠ ميلادي - ١٤٣٥/٩/٢ هجري)
http://www.alukah.net/library/0/72832/#ixzz566OFOr3A

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، [آل عمران: ١٠٢].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: ١].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد[٢]:

العيش في ظل آيات كتاب الله تعالى نعمة عظيمة لا يعلم قدرها إلا أولئك الذين شغلهم كتاب الله تعالى عن كل غاية سواه، فهو منبع الحكم وكتاب البراهين وهو الكلمة الخالدة والمعجزة الباهرة والآيات البينات.

في هذه البحث الموسوم: "أرض الله الواسعة: تأملات في الآية (٥٦) من سورة العنكبوت" نعيش في تأويل مفهوم عظيم من مفاهيم كتاب الله سبحانه، وهو البشارة التي بشر الله تعالى عباده المؤمنين بأن أرضه واسعة، وأنها لن تضيق بهم، ولذلك أمرهم بالهجرة في سبيله إن لم يتمكنوا من عبادته في أرض ما أن يتحولوا عنها ويهاجروا منها

---

[٢] تنظر خطبة الحاجة عند: النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ، باب: كيفية الخطبة، حديث (١٤٠٤)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص ١٦٥، البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ هـ، ٧/ ١٦٤، غير مرفوع، أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٩ هـ، (٢١١٨)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]،الاصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٨/٧، (تفرد به عفان عن شعبة)، النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط١، مكتبة المؤيد، ١٤٠٨ هـ، ص٣٥٥، إسناده صحيح، الالباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط١، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ، ص ٢٥٥، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط١، ١٤٢١ – ٢٠٠٠ م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص ٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلى الأرض التي يستيطعون أن يعبدوا الله فيها. وهل لأرض الله سبحانه من حدود؟ الجواب: كلا، لأن الله سبحانه، وهو أصدق القائلين قد وصفها في كتابه: ب(الواسعة).

ومن أجل تفسير مفهوم (الأرض الواسعة) في الآية المذكورة من سورة العنكبوت قسّمت هذه الدراسة على مبحثين: الأول: "تأملات أولى في أرض الله الواسعة" عدت فيه إلى بعض المفاهيم العلمية الحديثة التي تلقي الضوء حول سعة الكرة الأرضية مصداقاً لقول الله تعالى، أم البحث الثاني فكان بعنوان: " أقوال المفسرين في تفسير الآية (٥٦) من سورة العنكبوت: نماذج منتخبة".

أهمية هذا البحث بالنسبة لي تكمن أنه أول بحث لي على طريق طويل أسميه (تفسير الحكمة القرآنية) وأسأل الله سبحانه أن يعينني على إكمال مشواره إلى النهاية التي أرجوها وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

رواء محمود حسين

٢٤/ شعبان/١٤٣٥ هـ

٢٢/ ٦ / ٢٠١٤ م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول

تأملات أولى في أرض الله الواسعة

الجغرافيا أحد العلوم المهمة التي اشتمل عليها كتاب الله تبارك وتعالى. ويأسف الاستاذ سيد مظفر الدين نادفي أنه لم تبذل محاولة جادة لوضع مؤلف يتناول ما جاء في القرآن الكريم من أمور تتصل بالمعالم الجغرافية والحوادث التاريخية. ولعل أحد المحاولات، كما يشير الأستاذ نادفي هو العمل الموسوم: "أرض القرآن"، للأستاذ سيد سليمان نادفي وقد وضعه باللغة الأدرية، ونشر الكتاب عام ١٩١٥. [٣]

لكن ينبغي التنبيه إلا أن الملاحظة أعلاه قد مر عليها زمن طويل، وأن العديد من الدراسات والمؤلفات المهمة عن جغرافية القرآن الكريم قد صدرت بعد هذا التاريخ إلى اليوم.

فمن ذلك، دراسة د. خالد العبيدي والموسومة: "الهيدرولوجيا القرآنية"، وهو يشير إلى أن علم الهيدرولوجية أحد العلوم الرئيسية في هندسة المياه عموماً، وهو يدرس توزيع المياه على الأرض أو دورة المياه ومسيرتها منذ سقوطها كمطر ونزولها للأرض ثم جريانها في جداول تصب في الأنهار أو تغور في الاعماق لتتفجر عيوناً وينابيع وآبار، ثم لتصب في المحيطات والبحار. ومن ثم تعاد الدورة لتتبخر من جديد فتتحول إلى سحب تساق بأمر الله تعالى إلى بلد ميت فتمطر وهكذا، وهذا ما يعرف اختصاراً بالدورة الهيدرولوجية أو دورة المياه في الطبيعة. [٤]

تحتوي الجغرافية على حقائق ومفاهيم تم ذكرها في القرآن الكريم، وهي حقائق متنوعة (طبيعية وبشرية)، ويأتي بحث الاستاذة رنا الغريري والموسوم: " المعجم الجغرافي الخاص بألفاظ وآيات القرآن الكريم، دراسة في الجغرافية البشرية" لتكوين المعرفة بالآيات الخاصة بالظاهرة البشرية مع توضيح بسيط للصورة الإعجازية التي نزلت بها تلك الآية. ومن المعروف أن الدراسات المعجمية تعتمد التسلسل الأبجدي في جرد الظاهرة المدروسة، أما في هذا البحث فلم يعتمد على ذلك، ذلك أن لايمكنه تفسير أي ظاهرة جغرافية تم ذكرها في كتاب الله سبحانه وتعالى على أساس التسلسل الأبجدي، وقد تم

---

[٣] سيد مظفر الدين نادفي: "التاريخ الجغرافي للقرآن"، ترجمة وتعريب د. عبد الشافي غنيم عبد القادر، مراجعة حسن محمد جوهر، لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٥٦ م، الصفحة (ط).

[٤] د. خالد العبيدي: "الهيدرولوجيا القرآنية"، الجزء الرابع: "المياه الجوفية في القرآن الكريم والسنة المطهرة"، على الرابط المباشر:
http://www.khalid-alubaidy.com/files/archives/226_1.pdf

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تصنيف البحث الى ابواب ، وكل باب يتضمن عدداً من الصور الإعجازية التي تم ذكرها والمدينة التي نزلت بها تلك الآية إن دعت الحاجة إلى ذلك. [٥]

ولعل من الممكن القول إن (الجغرافيا القرآنية) باتت أحد العلوم المتعلقة بتفسير القرآن الكريم. وهنا تتم الإشارة إلى أن القرآن الكريم ليس كتاباً علمياً أو دائرة معارف علمية، وليس من مقاصده إرشاد الناس إلى العلوم الكونية والجغرافية من باب التعليم، وإنما هو كتاب عبادة وهداية، ومنهج وعقيدة، يدعو الناس للإيمان بالله ووحدانيته، وبقدرته على الخلق والإبداع، بكل الوسائل والسبل، ويؤكد على استخدام الحقائق الكونية الدائمة، داعياً الإنسان إلى التأمل والتعقل في قوانينها الثابتة، ونظمها الموضوعة، للتذكير بقدرة الله وعظمته، وما ورد فيه من آيات كان القصد منه التنبيه إلى ما في خلق العالم من آثار الإرادة، والحكمة والعلم، والقدرة، والإتقان والإتزان الدالة على وجود الله وعظمته، والتي تنفي قصة التكوين بالمصادفة، أو بالقوة الطبيعية التي تصنع كل شيء. [٦]

ولعل مصداق ذلك في قوله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) } (البقرة: ١٦٤).

وقوله تعالى مشيراً إلى البر والبحر: { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣) } (يونس: ٢٢ – ٢٣).

وقوله تعالى فيما تمت به الإشارة إلى مخلوقات الله سبحانه: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ

[٥] رنا محمد مجيد الغريري: "المعجم الجغرافي الخاص بألفاظ وأيات القرأن الكريم – دراسة في الجغرافية البشرية"، مجلة "الاستاذ"، السنة ٢٠٠٨ م، العدد ٧٢، ص ٧١٩، على الرابط الآتي:
http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=43560

[٦] فوزي حميد: "الجغرافية القرآنية: برهان خارق على عظمة الخالق"، ط١، دار الصفدي، دمشق، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، ص ٢٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣) } (النحل: ٣ – ٢٣).

وقوله تعالى: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) } (النحل: ٨١).

جاء ذكر الأرض في أربعمائة وواحد وستين (٤٦١) موضعاً من كتاب الله، منها ما يشير إلى الأرض ككل في مقابل السماء، ومنها ما يشير إلى اليابسة التي نحيا عليها، أو إلى جزء منها. ومنها ما يشير إلى التربة التي تغطي صخور الغلاف الصخري للأرض. واليابسة هي جزء من الغلاف الصخري للأرض وهي كتل القارات السبع المعروفة والجزر المحيطة العديدة. وفي هذه الآيات العديد من الإشارات إلى الحقائق العلمية عن الأرض والتي يمكن إيجازها بما يأتي:

(١) آيات تأمر الإنسان بالسير في الأرض، والنظر في كيفية بدء الخلق، وهي أساس المنهجية العلمية في دراسة علوم الأرض.

(٢) آيات تشير إلى شكل وحركات وأصل الأرض: منها يصف كروية الأرض، ومنها ما يشير إلى دورانها، ومنها ما يؤكد على عظم مواقع النجوم منها، أو على حقيقة إتساع الكون من حولها، أو على بدء الكون بجرم واحد (مرحلة الرتق)، ثم إنفجار ذلك الجرم الأولي (مرحلة الفتق)، أو على بدء الخلق كل من الأرض والسماء من دخان، أو على إنتشار المادة بين السماء والأرض (المادة بين الكواكب وبين النجوم والمجرات)، أو على تطابق كل من السموات والأرض (أي تطابق الكون حول مركز واحد).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(٣) آية قرآنية تتحدث عن الحديد الذي نزل من السماء إلى الأرض وهو ما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة.

(٤) آية قرآنية تؤكد حقيقة أن الأرض ذات صدع، وهي من الصفات الأساسية لكوكبنا، وقد أثبتت الدراسات ذلك منذ الستينيات من القرن العشرين.

(٥) آيات قرآنية تتحدث عن عدد من الظواهر البحرية المهمة مثل ظلمة قيعان البحار والمحيطات.

(٦) آيات قرآنية تتحدث عن الجبال، منها ما يصفها بأنها أوتاد، وبذلك يصف الشكل الخارجي، الذي على ضخامته يمثل الجزء الأصغر من الجبل.

(٧) آيات تشير إلى نشأة كل من الغلافين المائي والهوائي للأرض، وذلك بإخراج مكوناتهما من باطن الأرض.

(٨) آيات تشير إلى رقعة الغلاف الصخري للأرض، وإلى تسوية سطحه وتمهيده.

(٩) آيات تؤكد إسكان ماء المطر في كل من صخور الأرض وتربتها، مما يشير إلى دورة الماء حول الأرض وفي داخل غلافها الصخري.

(١٠) آيات تؤكد أن عملية الخلق تمت على مراحل متعاقبة عبر فترات زمنية طويلة.

(١١) آيات قرآنية تصف نهاية كل من الأرض والسموات وما فيها من كائنات.

ومن هنا تتضح أهمية القرآن الكريم في هداية البشرية، خاصة في الزمن الذي نعيشه اليوم، والذي فتح الله تعالى فيه على أبواب العلم بالكون ومكوناته ما لم يفتح به من قبل، وفتن الإنسان فيه بالعلوم الكونية وتطبيقاتها. [٧]

تنفرد الأرض في الكثير من الصفات التي لا يشاركها فيها أي كوكب آخر في المجموعة الشمسية أو حتى أي مكان في الكون بالحياة النابضة الموجودة على سطحها، تقع الأرض في المرتبة الثالثة في البعد عن الشمس بعد عطارد والزهرة، وتبعد عن الشمس في المتوسط ١٤٩,٦ مليون كيلو متر، وهي مسافة الوحدة الفلكيةAstronomical Unit . وتبعد نقطة الحضيض عن الشمس ١٤٧,١ مليون كم، ونقطة الأوج ١٥٢,١ كم ، وتدور الأرض حول محورها –يومها- في ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و ٤,٠٩١ ثانية، وهي مدة يومها النجمي، أما اليوم المدني أو الشمسي فمدته ٢٤ ساعة تماما. وتدور الأرض حول الشمس – سنتها النجمية – في ٣٦٥ يوما و٦ساعات و٩ دقائق و٩,٥ ثانية، وتبلغ سنتها الاعتدالية (المده الزمنية بين الاعتدال الربيعي والاعتدال الذي يليه) ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية. يبلغ طول نصف قطر الأرض ٦٣٧٨ كم، ومحيطها ٢٤٠٦٨ كم، وبذلك تقع الأرض في المرتبة الخامسة من حيث الحجم في المجموعة

[٧] د. زغلول النجار: "من آيات الإعجاز القرآني: الأرض في القرآن الكريم"، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ص ٨١ – ٨٤.

الشمسية، بعد المشتري وزحل وأورانوس ونبتون. ويميل محور دوران الأرض حول محورها ٢٣ درجة و٢٦ دقيقة، وينشأ بسبب الميلان الفصول الأربعة المعروفة، وهي المتطلبات الضرورية لديمومة الحياة على الأرض. وتبلغ كثافتها ٥,٥٢ من كثافة الماء، وهي أعلى كثافة في الكواكب السيارة التسعة، وتصل سرعة الافلات من سطحها ١١,٢ كم في الثانية. [٨]

[٨] مركز قطر لعلوم الفضاء والفلك، على الرابط الآتي:
http://qatar-falak.net/fullinfo.aspx?planet=earth

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني
أقوال المفسرين
في تفسير الآية (٥٦) من سورة العنكبوت
نماذج منتخبة

فيما يأتي نماذج من أقول المفسرين في تفسير قوله تعالى: { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) } [العنكبوت : ٥٦].

(١) مقاتل بن سليمان:

نزلت فى ضعفاء مسلمين أهل مكة إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان في إِنَّ أَرْضِي يعني أرض الله بالمدينة واسِعَةٌ من الضيق فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ يعني فوحدوني بالمدينة علانية، ثم خوفهم الموت ليهاجروا فقال- تعالى- : { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } (العنكبوت: ٥٧)، في الآخرة بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم، ثم ذكر المهاجرين فقال- سبحانه-: { وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) } [العنكبوت: ٥٨]- لله- عز وجل-، ثم نعتهم فقال- عز وجل-: { الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) } [العنكبوت : ٥٩]، يعني وبالله يثقون في هجرتهم، وذلك أن أحدهم كان يقول بمكة أهاجر إلى المدينة وليس لي بها مال، ولا معيشة. [٩]

(٢) الطبري:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا عبادي الذين وحَّدوني، وآمنوا بي، وبرسولي محمد صلى الله عليه وسلم { أَرْضِي وَاسِعَةٌ } واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض، فقال بعضهم: أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله، فلم تقدروا على تغييره، فاهرُبوا منه. وعن سعيد بن جُبير، في قوله: { أَرْضِي وَاسِعَةٌ } قال: إذا عمل فيها بالمعاصي، فاخرج منها. وعن ابن جُبَير أيضاً قال: اهرُبوا؛ فإن أرضي واسعة. عن عطاء قال: إذا أُمِرتم بالمعاصي

[٩] أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ): " تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٣ هـ، ٣/ ٣٨٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فاهربوا، فإن أرضي واسعة. وعن عطاء { إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ } قال: مجانبة أهل المعاصي. وعن ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) } فقلت: يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين، فقال: نعم. وقال آخرون: معنى ذلك: إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم. ذكر من قال ذلك: عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير العامري في قول الله: { إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ }: قال: إن رزقي لكم واسع. وعن مُطَرِّف بن الشِّخِّير أيضاً { إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ } قال: رزقي لكم واسع. وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: إن أرضي واسعة، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي؛ لدلالة قوله: { فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} على ذلك، وأن ذلك هو أظهر معنييه، وذلك أن الأرض إذا وصفها بِسعَة، فالغالب من وصفه إياها بذلك لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب. وقوله: { فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } يقول: فأخلصوا لي عبادتكم وطاعتكم، ولا تطيعوا في معصيتي أحدا من خلقي. [١٠]

(٣) الزمخشري:

يقول الزمخشري: "معنى الآية: أنّ المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يجب فليهاجر عنه إلى بلد يقدّر أنه فيه أسلم قلباً وأصح ديناً وأكثر عبادة وأحسن خشوعاً. ولعمري إن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير، ولقد جرّبنا وجرّب أوّلونا، فلم نجد فيما درنا وداروا: أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة- من سكنى حرم الله وجوار بيت الله، فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب، ورزق من الصبر وأوزع من الشكر". [١١]

(٤) الرازي:

يخاطب الله تعالى في هذه الآية عباده بِإِنْ تَعَذَّرَتِ الْعِبَادَةُ عَلَيْكُمْ فِي بَعْضِهَا فَهَاجِرُوا وَلَا تَتْرُكُوا عِبَادَتِي بِحَالٍ، وَبِهَذَا عُلِمَ الخروج وَاجِبٌ من دار الفتنة، حَتَّى لَوْ حَلَفَ بِالطَّلَاقِ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ لَزِمَهُ الْخُرُوجُ، وردع حَتَّى يَقَعَ الطَّلَاقُ.

---

[١٠] محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢٠/ ٥٥.

[١١] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ، ٣/ ٤٦١.

ويشير الرازي أن في الآية مسائل: إحداها: يا عِبادِيَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْمُخاطَبَةَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. الثَّانِي: هُوَ أَنَّ الْخِطَابَ بِعِبَادِي أَشْرَفُ مَنَازِلِ الْمُكَلَّفِ، الثَّالِثُ: هُوَ أَنَّ هَذَا الْخِطَابَ حَصَلَ لِلْمُؤْمِنِ بِسَعْيِهِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، فَالْإِضَافَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ بِقَوْلِ الْعَبْدِ إِلَهِي وَقَوْلِ اللَّهِ عَبْدِي تَأَكَّدَتْ بِدُعَاءِ الْعَبْد.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الفائدة من قوله: { الَّذِينَ آَمَنُوا }، فالْوَصْفُ يُذْكَرُ لَا لِلتَّمْيِيزِ بَلْ لِمُجَرَّدِ بَيَانِ أَنَّ فِيهِ الْوَصْفَ كَمَا يُقَالُ الْأَنْبِيَاءُ الْمُكَرَّمُونَ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مُكَرَّمٌ وَكُلَّ مَلَكٍ مُطَهَّرٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لِبَيَانِ أَنَّ فِيهِمُ الْإِكْرَامَ وَالطَّهَارَةَ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُنَا اللَّهُ الْعَظِيمُ وَزَيْدٌ الطَّوِيلُ، فَهَهُنَا ذُكِرَ لِبَيَانِ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: إذ قال { يَا عِبَادِيَ } فَهُمْ يَكُونُونَ عَابِدِينَ فَمَا الْفَائِدَةُ فِي الْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ بِقَوْلِهِ { فَاعْبُدُونِ } ففِيهِ فَائِدَتَانِ إِحْدَاهُمَا: الْمُدَاوَمَةُ أَيْ يَا مَنْ عَبَدْتُمُونِي فِي الْمَاضِي اعْبُدُونِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ الثَّانِيَةُ: الْإِخْلَاصُ أَيْ يَا مَنْ تَعْبُدُنِي أَخْلِصِ الْعَمَلَ لِي وَلَا تَعْبُدْ غيري[١٢].

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: { فَإِيَّايَ } تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ جَوَابٌ لِشَرْطٍ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ الْمَانِعِ مِنْ عِبَادَتِهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ إِذَا كَانَ لَا مَانِعَ مِنْ عِبَادَتِي فَاعْبُدُونِي، وَأَمَّا الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { فَاعْبُدُونِ } فَهُوَ لِتَرْتِيبِ الْمُقْتَضَى عَلَى الْمُقْتَضِي كَمَا يُقَالُ هذا عالم فأكرموه فكذلك هاهنا لَمَّا أَعْلَمَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: فَإِيَّايَ وَهُوَ لِنَفْسِهِ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ قَالَ { فَاعْبُدُونِ }.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: قَالَ الْعَبْدُ مِثْلَ هَذَا فِي قَوْلِهِ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وقال عقيبه: وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَاللَّهُ تَعَالَى وَافَقَهُ فِي قَوْلِهِ: { فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } وَلَمْ يَذْكُرِ الْإِعَانَةَ نَقُولُ بَلْ هِيَ مَذْكُورَةٌ فِي قوله يا عِبادِيَ لِأَنَّ الْمَذْكُورَ بِعِبَادِي لَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ مَسْدُودَ السَّبِيلِ عَلَيْهِ مَسْدُودَ الْقَبِيلِ عَنْهُ كَانَ فِي غَايَةِ الْإِعَانَةِ.

الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: قَدَّمَ اللَّهُ الْإِعَانَةَ وَأَخَّرَ الْعَبْدُ الِاسْتِعَانَةَ لِأَنَّ الْعَبْدَ فِعْلُهُ لِغَرَضٍ وَكُلُّ فِعْلٍ لِغَرَضٍ، فَإِنَّ الْغَرَضَ سَابِقٌ عَلَى الْفِعْلِ فِي الْإِدْرَاكِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ يَبْنِي بَيْتًا لِلسُّكْنَى يَدْخُلُ فِي ذِهْنِهِ أَوَّلًا فَائِدَةُ السُّكْنَى فَيَحْمِلُهُ عَلَى الْبِنَاءِ، لَكِنَّ الْغَرَضَ فِي الْوُجُودِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ فِعْلِ الْوَاسِطَةِ، فَنَقُولُ الِاسْتِعَانَةُ مِنَ الْعَبْدِ لِغَرَضِ الْعِبَادَةِ فَهِيَ سَابِقَةٌ فِي إِدْرَاكِهِ، وَأَمَّا اللَّهُ تَعَالَى فَلَيْسَ فِعْلُهُ لِغَرَضٍ فَرَاعَى تَرْتِيبَ الْوُجُودِ، فَإِنَّ الإعانة قبل العبادة. [١٣]

---

[١٢] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٢٥/ ٦٩.

[١٣] تفسير الرازي، ٢٥/ ٧٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٥) القرطبي:

هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي تَحْرِيضِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ عَلَى الْهِجْرَةِ- فِي قَوْلِ مُقَاتِلٍ وَالْكَلْبِيِّ- فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِسَعَةِ أَرْضِهِ، وَأَنَّ الْبَقَاءَ فِي بُقْعَةٍ يؤذون فيها لَيْسَ بِصَوَابٍ. بَلِ الصَّوَابُ أَنْ يَتَلَمَّسَ عِبَادَةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَعَ صَالِحِي عِبَادِهِ، أَيْ إِنْ كُنْتُمْ فِي ضِيقٍ مِنْ إِظْهَارِ الْإِيمَانِ بِهَا فَهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّهَا وَاسِعَةٌ، لِإِظْهَارِ التَّوْحِيدِ بِهَا. وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ وعطاء: إن الأرض التي فيها الظلم. وَالْمُنْكَرُ تَتَرَتَّبُ فِيهَا هَذِهِ الْآيَةُ، وَتَلْزَمُ الْهِجْرَةُ عَنْهَا إِلَى بَلَدٍ حَقٍّ. وَقَالَهُ مَالِكٌ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ:" إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَهاجِرُوا. وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشِّخِّيرِ: الْمَعْنَى إِنَّ رَحْمَتِي وَاسِعَةٌ. وَعَنْهُ أَيْضًا: إِنَّ رِزْقِي لَكُمْ وَاسِعٌ فَابْتَغُوهُ فِي الْأَرْضِ. قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: إِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ غَالِيَةٍ فَانْتَقِلْ إِلَى غَيْرِهَا تَمْلَأُ فِيهَا جِرَابَكَ خُبْزًا بِدِرْهَمٍ. [١٤]

(٦) إبن كثير:

هَذَا أمر من الله تعالى الْمُؤْمِنِينَ بِالْهِجْرَةِ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي لَا يَقْدِرُونَ فِيهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ إِلَى أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ حَيْثُ يُمْكِنُ إِقَامَةُ الدِّينِ، بِأَنْ يُوَحِّدُوا الله ويعبدوه كما أمرهم. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنِي جُبَيْرُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَبِي يَحْيَى مَوْلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبِلَادُ بِلَادُ اللَّهِ، وَالْعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ، فَحَيْثُمَا أَصَبْتَ خَيْرًا فَأَقِمْ» وَلِهَذَا لَمَّا ضَاقَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ مُقَامَهُمْ بِهَا، خَرَجُوا مُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ لِيَأْمَنُوا على دينهم هناك، فوجدوا خير المنزلين هناك: أصحمة النجاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى، فآواهم وَأَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ، وَجَعَلَهُمْ سُيُومًا بِبِلَادِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة الْبَاقُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ يَثْرِبَ الْمُطَهَّرَةِ. [١٥]

---

[١٤] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): "الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي"، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ١٣/ ٣٥٧.

[١٥] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): "تفسير ابن كثير"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ، ٦/ ٢٦٢. وينظر في تخريج الحديث: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ٣/ ٣٧، رقم الحديث (١٤٢٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الخاتمة

من كل ذلك، نخلص إلى أن الله تعالى قد نبه عقولنا وأذهاننا إلى أحد مخلوقاته العظيمة وهي كوكب الأرض، هذا الكوكب الواسع الفسيح الذي أنعم الله به عليه بشتى النعم، وجعله فسيحاً لعباده الصالحين من أجل أن يهاجروا فيه إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ولم يتمكنوا من عبادته على الوجه الذي يليق به سبحانه إلى مكان آخر من كوكب الأرض الفسيح لكي ينصرفوا إلى مهمتهم الحقيقية على الأرض وهي (العبودية الحقة لله رب العالمين).

قائمة المصادر والمراجع

١- حميد، فوزي: "الجغرافية القرآنية: برهان خارق على عظمة الخالق"، ط١، دار الصفدي، دمشق، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

٢- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٤- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥- ابن سليمان، أبو الحسن مقاتل بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ): " تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٦- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧- العبيدي، د. خالد: "الهيدرولوجيا القرآنية"، الجزء الرابع: "المياه الجوفية في القرآن الكريم والسنة المطهرة"، على الرابط المباشر:

http://www.khalid-alubaidy.com/files/archives/226_1.pdf

٨- الغريري، رنا محمد مجيد: "المعجم الجغرافي الخاص بألفاظ وأيات القرأن الكريم – دراسة في الجغرافية البشرية"، مجلة "الاستاذ"، السنة ٢٠٠٨ م، العدد ٧٢، ص ٧١٩، على الرابط الآتي:

http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=43560

٩- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ): "الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي"، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٠- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): "تفسير ابن كثير"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

١١- مركز علوم الفضاء والفلك، على الرابط الآتي:

http://qatar-falak.net/fullinfo.aspx?planet=earth

١٢- نادفي، سيد مظفر الدين: "التاريخ الجغرافي للقرآن"، ترجمة وتعريب د. عبد الشافي غنيم عبد القادر، مراجعة حسن محمد جوهر، لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٥٦ م.

١٣- النجار، د. زغلول: "من آيات الإعجاز القرآني: الأرض في القرآن الكريم"، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

الحكمة الثانية

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (البقرة: ٢٦٩)

حكمة بالغة

الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم

تأويل إصطلاحي

نشر في الألوكة، تاريخ الإضافة: ٢٠١٤/٩/٩ ميلادي - ١٤٣٥/١١/١٤ هجري
رابط الموضوع: http://www.alukah.net/library/0/75741/#ixzz5CkbJwS7y

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ } [القمر: ٥]

الإهداء

إلى (أهل القرآن ... أهل الله وخاصته)

الذين هاموا بالقرآن الكريم حباً

فأشغلوا به نهاراتهم

وأناروا به ظلمة لياليهم

واتخذوه منهجاً للإيمان وللعمل

أهدي هذه (الحكمة البالغة)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }، [آل عمران: ١٠٢].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: ١].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد[١٦]:

يعد القرآن الكريم كتاب الحكمة الاسلامية الأول، والاساس الذي تستمد منه القيم الاسلامية، وهو الصراط المستقيم، والقسطاس القويم الذي يعتمد عليه العقل المسلم في فهم ما كان وما يكون وما سيكون، وبه قام المؤمنون أمراً ونهياً طاعة وقربة لله سبحانه. قدّم القرآن الكريم شبكه هائلة مترابطة من المفاهيم المتعلقة بالابعاد الكبرى: التوحيد والنبوة والمعاد، وعلوم الفقه والاحكام والتاريخ والقصص والمستقبليات وغيرها، ولذلك فهو المصدر الأول لعلم الحكمة الاسلامية وللعقل المسلم في مناقشة كل القضايا التي تعترضه.

[١٦] ما تقدم هو خطبة الحاجة سنة نبوية، كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها لأصحابه. أنظر: أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٩ هـ، (٢١١٨)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]، النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ، باب: كيفية الخطبة، حديث (١٤٠٤)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص ١٦٥، البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ هـ، ٧/ ١٦٤، غير مرفوع، الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٨/٧، (تفرد به عفان عن شعبة)، النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط١، مكتبة المؤيد، ١٤٠٨ هـ، ص٣٥٥، إسناده صحيح، الألباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط١، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ، ص ٢٥٥، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط١، ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١ – ٢٠٠٠ م، ص ٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في هذا الكتيب الموسوم: "حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم: مقاربة إصطلاحية" نعلن، وربما لأول مرة، عن علم جديد من علوم القرآن الكريم، والذي اصطلحنا على تسميته ب(علم الحكمة القرآنية) لينضم إلى بقية العلوم القرآنية، ولكي يندفع المتخصصون في الدراسات القرآنية باتجاه المزيد من الكشوفات العلمية في مجال الحكمة القرآنية.

وهذا العلم، أي (علم الحكمة القرآنية) متفرع بالأصل عن العلم الذي أسميناه ب(علم الحكمة الإسلامية)، إذ يعد كتاب: "العروة الوثقى: مدخل إلى علم الحكمة الإسلامية" [١٧] أول كشف علمي لهذا العلم، ومن ثم أعقبته المحاولة الثانية في كتابنا الموسوم: "شرعة ومنهاج: أصول المنهج العلمي في علم الحكمة الإسلامية"[١٨].

الهدف الرئيس لعلم الحكمة القرآنية أن يقدم التصور الآتي: القرآن الكريم كله علم وكله حكمة، ومن ثم يتعين على المتخصصين إعادة اكتشاف علوم جديدة في القرآن الكريم بما يساهم في عملية تجديد الدراسات القرآنية، ودفعها إلى مزيد من الإنتاج العلمي.

نسأل الله سبحانه أن يجعل كل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الناس كافة.

رواء محمود حسين

٢٩/شوال/١٤٣٥ هـ

٢٠١٤/٨/٢٥ م

[١٧] ط١، دار ناشري للنشر الأليكتروني، الكويت، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

[١٨] ط١، دار ناشري للنشر الاليكتروني، الكويت، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١)
مدخل
ما علم الحكمة القرآنية؟

توحيد الله سبحانه وإخلاص العبادة له القضية الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم. فالله تَعَالَى وَاحِد لَا من طَرِيق الْعدَد وَلَكِن من طَرِيق انه لَا شريك لَهُ لم يلد وَلم يُولد وَلم يكن لَهُ كفوا أحد. وهو لَا يشبه شَيْء من الْأَشْيَاء من خلقه وَلَا يُشبههُ شَيْء من خلقه لم يزل وَلَا يزَال بأسمائه وَصِفَاته. [١٩]

ويبدأ الحديث عن التوحيد في القرآن الكريم منذ أول سورة فيه، أي سورة الفاتحة. فقد قال الله تعالى: { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)} [الفاتحة: ١-٧].

فالشكر لله سبحانه، وهو رب العالمين أي من الأنس والجن، الرحمن أي المترحم، والرحيم أي المتعطف بالرحمة. وهو مالك يوم الدين: أي يوم الحساب، وقد اختص الله سبحانه بملك ذلك اليوم لأن ملوك الدنيا يملكون فيها فأخبر الله سبحانه أنه لن يملك أحد ذلك اليوم إلا هو جل شأنه. ولذلك فله وحده العبادة، { إِيَّاكَ نَعْبُدُ }، والتوحيد، وبه وحده الاستعانة سبحانه. ولذلك نسأله سبحانه الهداية إلى الصراط المستقيم، أي دين الاسلام. وأن يجنبنا طريق الذين غضب عليهم والذين ضلوا الصراط المستقيم أيضاً. [٢٠]

وقد ذكر ابن القيم أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ اشْتَمَلَتْ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ بأبلغ طريقة. فَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّعْرِيفِ بِالْمَعْبُودِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ، مَرْجِعُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا إِلَيْهَا، وَمَدَارُهَا عَلَيْهَا، وَهِيَ: اللَّهُ، وَالرَّبُّ، وَالرَّحْمَنُ، وَبُنِيَتِ السُّورَةُ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالرَّحْمَةِ، فَ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } [الفاتحة: ٥] مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: ٥] عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ، وَطَلَبُ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ، وَالْحَمْدُ

[١٩] ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ): الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، ط١، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ص ١٤.

[٢٠] ينظر: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ): "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٣ هـ، ص ٣٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَتَضَمَّنُ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ، فَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَالثَّنَاءُ وَالْمَجْدُ كَمَالَانِ لِجَدِّهِ.وَاشتملت إِثْبَاتَ الْمَعَادِ، وَجَزَاءَ الْعِبَادِ بِأَعْمَالِهِمْ، حَسَنِهَا وَسَيِّئِهَا، وَتَفَرُّدَ الرَّبِّ تَعَالَى بِالْحُكْمِ إِذْ ذَاكَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَكَوْنَ حُكْمِهِ بِالْعَدْلِ، وَكُلُّ هَذَا تَحْتَ قَوْلِهِ { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } [الفاتحة: ٤] . وَتَضَمَّنَتْ إِثْبَاتَ النُّبُوَّاتِ مِنْ جِهَاتٍ عَدِيدَةٍ: أَحَدُهَا: كَوْنُهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَلَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَتْرُكَ عِبَادَهُ سُدًى هَمَلًا لَا يُعَرِّفُهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ فِيهِمَا، فَهَذَا مناف لِلرُّبُوبِيَّةِ، وَنِسْبَةُ الرَّبِّ تَعَالَى إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَمَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ نَسَبَهُ إِلَيْهِ.[٢١]

ولذلك يمكن تعريف الْعِبَادَة، أنها: "اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة. فَالصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْحج وَصدق الحَدِيث وَأَدَاء الْأَمَانَة وبرّ الْوَالِدين وصلَة الْأَرْحَام وَالْوَفَاء بالعهود وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر .. وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَان للْجَار واليتيم والمسكين وَابْن السَّبِيل والمملوك من الْآدَمِيّين والبهائم وَالدُّعَاء وَالذكر وَالْقِرَاءَة وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة، وَكَذَلِكَ حب الله وَرَسُوله وخشية الله والإنابة إِلَيْهِ وإخلاص الدَّين لَهُ وَالصَّبْر لحكمه وَالشُّكْر لنعمه وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ والتوكل عَلَيْهِ والرجاء لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْف من عَذَابه وأمثال ذَلِك هِيَ من الْعِبَادَة لله".[٢٢]

ولذلك أمر الله سبحانه بالاستجابة لعبوديته، فقد قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) } [البقرة: ٢١- ٢٢].

أي أن الأمر الإلهي هو بالاستكانة، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة، والخضوع له بالطاعة. لأنه تعالى هو خالقهم وخالقُ مَنْ قبلهم من آبائهم وأجدادهم، وخالقُ أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم. فقال لهم سبحانه: فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائرَ الخلق غيرَكم، وهو يقدرُ على ضرّكم ونَفعكم – أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نَفع ولا ضرّ.[٢٣]

---

[٢١] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، ١/٣١.

[٢٢] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ): "العبودية"، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الطبعة السابعة المجددة، المكتب الإسلامي — بيروت، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، (هذه الرسالة مطبوعة أيضًا ضمن "مجموع الفتاوى" ١٠/١٤٩، وفي "الفتاوى الكبرى" ٥/١٥٥)، ص ٤٤.

[٢٣] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ١/ ٣٦٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولذلك ينبغي أن نقول أن أجل علم أخذ عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معرفة الله تعالى وعلم ذاته وصفاته وأفعاله، وذلك علم يختص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنه علم ليست له وسائل أو الآت، أو تجارب عند البشر، ولا يتناوله القياس أو يستفاد بالفطنة والذكاء، فالله تعالى منزه عن مشابهة الأشباه والنظائر، وهو بعيد عما عرفه البشر من عالم الحس والتجربة. علم التوحيد هو أجمل علم وقف عنده الانسان، لأنه الاساس للعقائد والاخلاق والمدنية وهو الذي به يعرف الانسان نفسه، ويفك لغز الكون ويكشف عن سر الحياة، وبه يعرف الانسان مركزه في هذا الكون، ويضع منهاج حياته، ويحدد غاياته في ثقة وبصيرة، ووضوح ويقين. [٢٤]

وقد تضمنت سورة الفاتحة الإشارة إلى (الصراط المستقيم)، وقد ذكر الطبري في تأويله عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال جبريل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: " قل، يا محمد { ٱهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } . يقول: ألهمنا الطريق الهادي. وإلهامه إياه ذلك، هو توفيقه له. ومعناه نظيرُ معنى قوله: { إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }، في أنه مَسألةُ العبد ربَّه التوفيقَ للثبات على العمل بطاعته، وإصابة الحق والصواب فيما أمَره به ونهاه عنه، فيما يَستَقبِلُ من عُمُره، دون ما قد مضى من أعماله. كما في قوله: { إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }، مسألةٌ منه ربَّه المعونةَ على أداء ما قد كلَّفه من طاعته، فيما بقي من عُمُره. فكانَ معنى الكلام: اللهمّ إياك نعبدُ وحدَك لا شريك لك، مخلصين لك العبادةَ دونَ ما سِواك من الآلهة والأوثان، فأعِنَّا على عبادتك، ووفِّقنا لما تحب وترضى. [٢٥]

عَنْ الحَارِثِ، قَالَ: مَرَرْتُ فِي المَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ، قَالَ: وَقَدْ فَعَلُوهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ» . فَقُلْتُ: مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، [ص:١٧٣] وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ } [الجن:١- ٢] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ

[٢٤] أبو الحسن الحسني الندوي: " العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية"، ط٢، دار القلم، الكويت، ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م، ص ٥٧.

[٢٥] تفسير الطبري، ١٦٦/١.

مُسْتَقِيمٍ " خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ».[٢٦]

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُومُ الْعَبْدُ فَيَقُولُ: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فَيَقُولُ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي. فَيَقُولُ { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } فَيَقُولُ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. فَيَقُولُ { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } فَيَقُولُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وَهَذَا لِي، وَبَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: ٥] وَآخِرُ السُّورَةِ لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، يَقُولُ: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)} [الفاتحة: ٧] ": «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».[٢٧]

وعن أَبِي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». [٢٨]

ولذلك جاء في فضل سورة الفاتحة من كتاب الله سبحانه الشيء العجيب، فعَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: " أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟ "، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ

---

[٢٦] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ): "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، ٥/ ١٧٢، حديث (٢٦٠٩)، وقارن مع تفسير القرطبي، ١/٥.

[٢٧] سنن الترمذي، ٥/ ٢٠١، حديث (٢٩٥٣)، وقارن: مع القرطبي (ت ٦٧١ هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ، ١/ ٩٤.

[٢٨] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" المعروف ب (صحيح مسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ، ١/ ٥٣٤، حديث (٢٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المسْجِدِ» ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ» قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ». [٢٩]

في المفهوم الدقيق للحكمة القرآنية:

الحكمة في القرآن الكريم، وبحسب ما ذهب إليه المفسرون، تأتي في سياق إما أن تكون هي الوحي نفسه، أي القرآن الكريم أو السنة النبوية، أو أن تكون الفهم العقلي والانساني الناتج عن التأمل في الوحي وتطبيقه. وبهذا يمكن أن نقول فهي إصابة القرآن الكريم، أي التحقق من المفهوم الدقيق للآية القرآنية وصولاً إلى أقرب دلالة للوحي من أجل أن يكون تطبيق هذه الدلالة في الواقع المنظور تطبيقاً صحيحاً.

وقد أجاب الشافعي في كتابه: "الرسالة" عن السؤال الآتي: فَإِنَّا نَجِدُ مِن الأحاديثِ عَن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديثَ في القُرآن مِثْلُها نَصًّا، وأخْرَى في القُرآن مثلُها جُمْلةً، وفي الأحاديث منها أكثرَ مِمَّا في القُرآن، وأخرى ليس منها شيء في القُرآن، وأخرى مُتَفِقَةٌ، وأخرى مُخْتلفةٌ: ناسِخة ومَنْسوخَة، وأخرى مختلفة: ليس فيها دِلالةٌ على ناسخٍ ولا منسوخ، وأخرى فيها نَهْيٌ لِرسول الله، فتقولون: ما نَهَى عنْه حَرَامٌ، وأخرى لرسول الله فيها نَهْيٌ، فتقولون: نَهْيُه وأمره على الاختيار لا على التَّحْرِيم، ثم نَجِدُكم تذهبون إلى بعْض المخْتَلِفة مِن الأحاديث دون بعْضٍ، ونجدكم تَقِيسُون على بعْضِ حَديثه، ثم يَخْتَلِف قِياسُكم عليها، وتَتْرُكون بعْضاً فلا تَقِيسون عليه، فَمَا حُجَّتُكُمْ في القياس وتَرْكِه؟ ثم تفْتَرِقون بعد ذلك: فمِنكُمْ مَنْ يَتْرُك مِن حديثه الشيءَ ويَأْخُذ بمثل الذي تَرَكَ وأَضْعَفَ إسْنادًا مِنه. فأجاب الشافعي: فقلتُ له: كلُّ ما سَنَّ رسولُ الله مَعَ كِتاب الله مِن سنةٍ فهي مُوَافِقة كتابَ الله في النصِّ بِمِثْلِهِ، وفي الجُمْلة بالتَّبْيِينِ عَن الله، والتبيينُ يكون أكثرَ تَفْسِيراً مِن الجُمْلة. وما سَنَّ مِمَّا ليس فيه نصُّ كتابِ الله فبِفرض الله طاعتَه عامَّةً في أمْرِه تَبِعْنَاه. وأما الناسِخةُ والمنسوخة مِنْ حديثه فهي كما نَسَخَ اللهُ الحُكْمَ في كِتابه بالحكم غيْرِه من كتابه عامةً في أمْرِه، وكذلك سنةُ رسولِ الله تُنْسَخُ بِسنتِه. وذَكَرْتُ له بعضَ ما كتبْتُ في كِتابي قَبْلَ هذا مِن إيضَاح ما وَصَفْتُ.[٣٠]

---

[٢٩] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر،ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر]، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه، ٦/ ١٨٧، حديث (٥٠٠٦).

[٣٠] الشافعي (ت ٢٠٤ هـ): "الرسالة"، تحقيق أحمد شاكر، ط١، مكتبه الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م، ص ٢١٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه الحكمة تامة كاملة لأنها حكمة إلهية. وكمالها يأتي من كمال الدين نفسه، فقد قال الله تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } [المائدة: ٣]، وبهذا فالحكمة الاسلامية موضع اغتباط الإنسان المسلم، فعن الزُّهْرِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى [ص:٢٦] هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا". سواء حين تطلق على القرآن الكريم، أو على السنة النبوية، أو الدين، أو الفقه، أو إصابة الوحي في القول والعمل، أو العلم بأحكام الشريعة وتطبيقها.[٣١]

تكتسب هذه الحكمة الاسلامية صفة الإلزام في الأتباع من الأمر الإلهي المتكرر بوجوب طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال الله تعالى: { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢) } [آل عمران: ٣٢]، وقال سبحانه: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ } [آل عمران: ١٣٢]، وقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) } [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا } [المائدة: ٩٢]، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) } [الأنفال: ٢٠].

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ». [٣٢]

وبهذا المعنى بالذات فالحكمة القرآنية مرادفة لمعنى الإيمان، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ» ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي

[٣١] البخاري: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، ١/ ٢٥، حديث (٧٣).

[٣٢] نفسه، ١/ ١٢، حديث (١٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ تَلَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللهِ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤] " قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ» ، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ». [٣٣]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «صَدَقَ» ، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللهُ» ، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللهُ» ، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «اللهُ» ، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا، وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ» ، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: «صَدَقَ» ، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ» ، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: «صَدَقَ» ، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ». [٣٤]

وعن مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ – أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ – أَوْ يَا مُحَمَّدُ – أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ» ، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ». [٣٥]

---

[٣٣] مسلم بن الحجاج: "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، حديث (٥).

[٣٤] صحيح مسلم، ١/ ٤١، حديث (١٠).

[٣٥] نفسه، ١/ ٤٢، حديث (١٢).

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَقَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا، وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، فَلَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ، وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، قَالَ: " آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ بِاللهِ "، ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ، فَقَالَ: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُقَيَّرِ» زَادَ خَلَفٌ فِي رِوَايَتِهِ: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ، وَعَقَدَ وَاحِدَةً. [٣٦]

كما إن وهذه الحكمة القرآنية حكمة واضحة ظاهرة جلية لا لبس فيها ولا إشكال، فعن الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ } [آل عمران: ٧] إِلَى { أُولُو الْأَلْبَابِ } قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ». [٣٧]

ومن ثم فلا حصر ولا عد لفضائل القرآن الحكيم التي منها:

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟» ، قَالَ: لاَ، قَالَ: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ» ، قَالَ ابْنُ الهَادِ: وَحَدَّثَنِي هَذَا الحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَّابٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ. [٣٨]

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ

[٣٦] صحيح مسلم، ١/ ٤٦، حديث (٢٣)، وانظر: نفسه، ١/ ٤٧، حديث (٢٤).

[٣٧] أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ): "سنن أبي داود"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٨/٤، حديث (٤٥٩٨).

[٣٨] صحيح البخاري، ١٩٠/٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلاَ رِيحَ لَهَا ". [٣٩]

وعَنْ الحَارِثِ، قَالَ: مَرَرْتُ فِي المَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ، قَالَ: وَقَدْ فَعَلُوهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ» . فَقُلْتُ: مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ } [الجن: ٢] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ».[٤٠]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عن القرآن: " المُهَيْمِنُ: الأَمِينُ، القُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ ". [٤١]

وبين الطبري في مقدمة تفسيره أنّ مما خصّ الله به أمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الفضيلة، وشرَّفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، حفظَه ما حفظ عليهم سبحانه من وحيه وتنزيله، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم دلالة، وعلى ما خصه به من الكرامة علامةً واضحة، وحجةً بالغة، أبانه به من كل كاذب ومفترٍ، وفصَل به بينهم وبين كل جاحد ومُلحِد، وفرَق به بينهم وبين كل كافر ومشرك؛ الذي لو اجتمع جميعُ من بين أقطارها، من جِنِّها وإنسها وصغيرها وكبيرها، على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا. فجعله لهم في دُجَى الظُّلَم نورًا ساطعًا، وفي سُدَف الشُّبَه شهابًا لامعًا، وفي مضَلة المسالك دليلا هاديًا، وإلى سبل النجاة والحق حاديًا، { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)} [سورة المائدة: ١٦] . حرسه بعين منه لاَ تنام، وحاطه بركن منه لاَ يضام، لاَ تَهِي على الأيام دعائمه، ولا تبيد على طول الأزمان معالمه، ولا يجوز عن قصد المحجَّة تابعه، ولا يضل عن سُبُل الهدى مُصَاحبه. من اتبعه فاز وهُدِى، ومن حاد عنه ضلَّ

[٣٩] نفسه، ١٩٠/٦.

[٤٠] الترمذي: "سنن الترمذي"، ١٧٢/٥.

[٤١] صحيح البخاري، ١٨١/٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وغَوَى، فهو موئلهم الذي إليه عند الاختلاف يَئِلون، ومعقلهم الذي إليه في النوازل يعقلون، وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون، وحكمة ربهم التي إليها يحتكمون، وفصْل قضائه بينهم الذي إليه ينتهون، وعن الرضى به يصدرون، وحبله الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون. اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول في مُحْكَمه ومُتَشابهه، وحلاله وحرامه، وعامِّه وخاصِّه، ومجمَله ومفسَّره، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وتأويل آية وتفسير مُشْكِله، وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه، والثبات على التسليم لمتشابهه. وأوزعنا الشكر على ما أنعمتَ به علينا من حفظه والعلم بحدوده. إنك سميع الدعاء قريب الإجابة. وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً.[٤٢]

وأكّد الزمخشري أن الله سبحانه أنشأ القرآن الحكيم كتاباً ساطعاً تبيانه، قاطعاً برهانه، قرآنا عربياً غير ذى عوج مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية، مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية، وحياً ناطقاً ببينات وحجج، معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان، دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل، مكان أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدّى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم، على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، وأوفر عدداً من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادّة والمضارّة، وإلقائهم الشراشر على المعازة والمعارّة، ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط، وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر، وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرّد لهم الحجة أوّلاً، والسيف آخراً، فلم يعارضوا إلا السيف وحده، على أنّ السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّه فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أنّ البحر قد زخر فطمّ على الكواكب، وأنّ الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب.[٤٣]

ومن كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني: "يا (غلام) العمل بالقرآن يوقفك على منزله، والعمل بالسنة يوقفك على الرسول نبياً محمد صلى الله عليه وسلم، لا يبرج بقلبه وهمته من حول قلوب القوم، هو المطيب والمبخر لها

[٤٢] مقدمة تفسير الطبري، ١/ ٥-٦.

[٤٣] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ): "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١/١.

المصفى لأسرارهم والميزن لها، هو المستفتح باب القرب لها، هو الماشطة هو السفير بين القلوب والأسرار وبين ربها عز وجل...". [٤٤]

وقد بين ابن القيم أن الله سبحانه أَنْزَلَ القرآن لنتأمله ونتدبره، وَنَسْعَدَ بذكره، وَنَحْمِلَهُ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهِ وَمَعَانِيهِ، وَنُصَدِّقَ بِهِ وَنَجْتَهِدَ عَلَى إِقَامَةِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَنَجْتَنِي ثِمَارَ عُلُومِهِ النَّافِعَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ كِتَابُ الله سبحانه الدَّالُّ عَلَيْهِ لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَتَهُ، وَطَرِيقُهُ الْمُوَصِّلَةُ لِسَالِكِهَا إِلَيْهِ، وَنُورُهُ الْمُبِينُ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَرَحْمَتُهُ الْمُهْدَاةُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ إِذَا انْقَطَعَتِ الْأَسْبَابُ، وَبَابُهُ الْأَعْظَمُ الَّذِي مِنْهُ الدُّخُولُ، فَلَا يُغْلَقُ إِذَا غُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا تَمِيلُ بِهِ الْآرَاءُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَالنُّزُلُ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تُقْلِعُ سَحَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي آيَاتُهُ، وَلَا تَخْتَلِفُ دِلَالَاتُهُ، كُلَّمَا ازْدَادَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ تَأَمُّلًا وَتَفْكِيرًا، زَادَهَا هِدَايَةً وَتَبْصِيرًا، فَهُوَ نُورُ الْبَصَائِرِ مِنْ عَمَاهَا، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ مِنْ أَدْوَائِهَا وَجَوَاهَا، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ النُّفُوسِ، وَرِيَاضُ الْقُلُوبِ، وَحَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ، وَالْمُنَادِي بِالْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ: يَا أَهْلَ الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، نَادَى مُنَادِي الْإِيمَانِ عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الأحقاف: ٣١].[٤٥]

وبحث ابن القيم أيضاً في الْحِكْمَة الباهرة فِي هَذَا الدّين القويم وَالْملَّة الحنيفية والشريعة المحمدية الَّتِي لَا تنَال الْعبارَة كمالها، وَلَا يدْرك الْوَصْف حسنها، وَلَا تقترح عقول الْعُقَلَاء وَلَو اجْتمعت، وَكَانَت على اكمل عقل رجل مِنْهُم فَوْقهَا وَحسب الْعُقُول الْكَامِلَة الفاضلة ان ادركت حسنها وَشهِدت بفضلها. وانه مَا طرق الْعَالم شَرِيعَة اكمل وَلَا اجل وَلَا اعظم مِنْهَا، فَهِيَ نَفسهَا الشَّاهِد والمشهود لَهُ وَالْحجّة والمحتج لَهُ وَالدَّعْوَى والبرهان، وَلَو لم يَأْتِ الرَّسُول ببرهان عَلَيْهَا لكفى بهَا برهاناً وَآيَة وَشَاهداً على انها من عِنْد الله، وَكلهَا شاهدة لَهُ بِكَمَال الْعلم، وسعة الرَّحْمَة وَالْبر والاحسان، والاحاطة بِالْغَيْبِ وَالشَّهَادَة، وَالْعلم بالمباديء والعواقب، وَكَمَال الْحِكْمَة، وَأَنَّهَا من اعظم نعم الله الَّتِي انْعمْ بهَا على عباده، فَمَا أنْعمْ عَلَيْهِم بِنِعْمَة أجل من أن هدَاهُم لَهَا، وجعلهم من اهلها، وَمِمَّنْ ارتضاهم لَهَا، فَلهَذَا امتن على عباده بَأن هدَاهُم لَهَا قَالَ تَعَالَى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)

[٤٤] الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦٠ هـ): "الفتح الرباني"، دار الريان للتراث، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٧٦.

[٤٥] ابن قيم الجوزية: "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، ٢٧/١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

} [آل عمران: ١٦٤]. وَقَالَ مُعَرفا لِعِبَادِهِ، ومذكرا لَهُم عَظِيم نعْمَته عَلَيْهِم، مستدعياً مِنْهُم شكره على أن جعلهم من اهلها { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }، الأية. وانظر كَيفَ وصف الدّين الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُم بالكمال وَالنعْمَة الَّتِي اسبغها عَلَيْهِم بالتمام إِيذَانًا فِي الدّين بِأَنَّهُ لَا نقص فِيهِ وَلَا خلل وَلَا عيب، **وَلَا شَيْء خَارِجا عَن الْحِكْمَة بِوَجْه** بل هُوَ الْكَامِل فِي حسنه وجلالته. وَوصف النِّعْمَة بالتمام إِيذَانًا بدوامها واتصالها وَأَنه لَا يسلبهم إِيَّاهَا بعد إِذْ أعطاهموها بل يكملها لَهُم بالدوام فِي هَذِه الدَّار وَفِي دَار الْقَرار. وَتَأمل حسن اقتران التَّمام بِالنعْمَةِ، وَحسن اقتران الْكَمَال بِالدّينِ، وَأنه أضاف الدّين اليهم، إِذْ هم القائمون بِهِ، المقيمون لَهُ. وأضاف النِّعْمَة اليه إِذْ هُوَ وَليهَا والمنعم بهَا عَلَيْهِم، فَهِيَ نعْمَته حَقًّا وهم قابلوها. واتى فِي الْكَمَال بِاللَّامِ المؤذنة بالاختصاص وَأَنه شَيْء خصوا بِهِ دون الامم، وَفِي إِتْمَام النِّعْمَة بعلى المؤذنة بالاستعلاء والاشتمال والاحاطة، فجَاء أتممت فِي مُقَابلَة أكملت، وَعَلَيْكُم فِي مُقَابلَة لكم، ونعمتي فِي مُقَابلَة دينكُ.مْ واكد ذَلِك وزاده تقريرا وكمالا وإتماما للنعمة بقوله { وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [آل عمران: ٣]. [٤٦]

(٢)

[٤٦] ابن قيم الجوزية: "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ، ١/٣٠١ -٣٠٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تأويل لمصطلح الحكمة في القرآن الكريم[٤٧]

يقتضي البحث في علم الحكمة في القرآن الكريم أن نذهب مباشرة إلى مصطلح الحكمة القرآني نفسه، من أجل استخلاص المفهوم القرآني الدقيق له، وهو ما يشترط بالطبع العودة إلى مصادر التفسير العمدة من أجل هذه الغاية، فإلى ذلك إن شاء الله:

وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم في مواطن عدة، نذكرها كالآتي[٤٨]:

أولاً: إصابة الوحي: الهدف النهائي لعلم الحكمة القرآنية

- **قوله سبحانه:** { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩) } [البقرة: ٢٦٩].

عن مجاهد في قوله تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ } [البقرة: ٢٦٩] قال: "القرآن يؤتي إصابته من يشاء".[٤٩]

وعن مقاتل بن سليمان في قوله تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ } قال: ومن يعط الحكمة، وهي علم القرآن، والفقه فيه، { فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا }، يعني: فقد أعطي خيراً كثيراً. { وَمَا يَذَّكَّرُ } فما يسمع { إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } وهم أهل العقل.[٥٠]

وذكر الرازي في تفسير الآية أن وعد الرَّحْمَنِ تُرَجِّحُهُ الْحِكْمَةُ وَالْعَقْلُ، أماَ وَعْدَ الشَّيْطَانِ فتُرَجِّحُهُ الشَّهْوَةُ وَالنَّفْسُ لأنهما يَأْمُرَانِ بِتَحْصِيلِ اللَّذَّةِ الْحَاضِرَةِ وَاتِّبَاعِ أَحْكَامِ الْخَيَالِ وَالْوَهْمِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ حُكْمَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ هُوَ الْحَكَمُ الصَّادِقُ الْمُبَرَّأُ عَنِ الزَّيْغِ وَالْخَلَلِ، وَحُكْمَ الْحِسِّ وَالشَّهْوَةِ وَالنَّفْسِ تُوقِعُ الْإِنْسَانَ فِي الْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ، فَكَانَ حُكْمُ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ أَوْلَى بِالْقَبُولِ، فَهَذَا هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى وَجْهِ النَّظْمِ. ويشير إلى مسائل عدة في الآية، منها:

---

[٤٧] بالنظر إلى أني قد تتبعت، بحسب التوفيق الإلهي، مفردة (الحكمة) من الناحية اللغوية في كتابي: "العروة الوثقى"، فلا أجد نفسي بحاجة إلى تكرار القول في الموضوع، وأحيل إلى: د. رواء محمود حسين: "العروة الوثقى: مدخل إلى علم الحكمة الاسلامية"، الفصل الأول: "التعريف بعلم الحكمة الاسلامية"، المبحث الأول: "المعنى اللغوي للحكمة"، ص ٩ – ١٨.

[٤٨] نفسه، ص ٣١ – ٣٤.

[٤٩] مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): "تفسير مجاهد"، تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م، ص ٢٤٥.

[٥٠] مقاتل بن سليمان: "تفسير مقاتل بن سليمان"، ١/ ٢٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْمُرَادُ مِنَ الْحِكْمَةِ إِمَّا الْعِلْمُ، وَإِمَّا فِعْلُ الصَّوَابِ. عَنْ مُقَاتِلٍ أَنَّهُ قَالَ: تَفْسِيرُ الْحِكْمَةِ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا: مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ، قَالَ فِي الْبَقَرَةِ { وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ } [الْبَقَرَة: ٢٣١] يَعْنِي مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ. وَثَانِيهَا: الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } [مَرْيَمَ: ١٢] وَفِي لُقْمَانَ { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ } [لُقْمَانَ: ١٢] يَعْنِي الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَفِي الْأَنْعَامِ: { أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ } [الْأَنْعَامِ: ٨٩]. وَثَالِثُهَا: الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى النُّبُوَّةِ فِي النِّسَاءِ: { فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [النِّسَاءِ: ٥٤] يَعْنِي النُّبُوَّةَ، وَفِي ص { وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ } [ص: ٢٠] يَعْنِي النُّبُوَّةَ، وَفِي الْبَقَرَةِ { وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ } [الْبَقَرَة: ٢٥١]. وَرَابِعُهَا: الْقُرْآنُ بِمَا فِيهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَسْرَارِ فِي النَّحْلِ: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } [النَّحْلِ: ١٢٥]، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْوُجُوهِ عِنْدَ التَّحْقِيقِ تَرْجِعُ إِلَى الْعِلْمِ. وَأَمَّا الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى فِعْلِ الصَّوَابِ فَقِيلَ فِي حَدِّهَا: إِنَّهَا التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ، ومدار هَذَا الْمَعْنَى عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى» وَاعْلَمْ أَنَّ الْحِكْمَةَ لَا يُمْكِنُ خُرُوجُهَا عَنْ هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كَمَالَ الْإِنْسَانِ فِي شَيْئَيْنِ: أَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ لِذَاتِهِ، وَالْخَيْرَ لِأَجْلِ الْعَمَلِ بِهِ، فَالْمَرْجِعُ بِالْأَوَّلِ: إِلَى الْعِلْمِ وَالْإِدْرَاكِ الْمُطَابِقِ، وَبِالثَّانِي: إِلَى فِعْلِ الْعَدْلِ وَالصَّوَابِ، فَحُكِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ { رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا } [الشُّعَرَاءِ: ٨٣] وَهُوَ الْحِكْمَةُ النَّظَرِيَّةُ { وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } [الشُّعَرَاءِ: ٨٣] الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَنَادَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّنِي { إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا } [طه: ١٣] وهو الحكمة النظرية، ثم قال: { فَاعْبُدْنِي } [طه:١٣] وَهُوَ الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَقَالَ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ } [مَرْيَمَ: ٣٠] الْآيَةَ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِلْحِكْمَةِ النَّظَرِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ: { وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا } [مَرْيَمَ: ٣١] وَهُوَ الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَقَالَ فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } [مُحَمَّدٍ: ١٩] وَهُوَ الْحِكْمَةُ النَّظَرِيَّةُ، ثم قال: { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } [غافر: ٥٥] [مُحَمَّدٍ: ١٩] وَهُوَ الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَقَالَ فِي جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ { أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا } [النَّحْلِ: ٢] وَهُوَ الْحِكْمَةُ النظرية: ثم قال: فَاتَّقُونِ وَهُوَ الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَالْقُرْآنُ هُوَ مِنَ الْآيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ كَمَالَ حَالِ الْإِنْسَانِ لَيْسَ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ، قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: الْحِكْمَةُ فِعْلَةٌ مِنَ الْحُكْمِ، وَهِيَ كَالنَّحْلَةِ مِنَ النَّحْلِ، وَرَجُلٌ حَكِيمٌ إِذَا كَانَ ذَا حِجَى.[٥١]

[٥١] فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٥٧/٧-٥٨. في السياق نفسه نشير إلى أن تقسيم الرازي للحكمة إلى النظرية والعملية قد سار عليه الفلاسفة من قبل، ينظر: رواء محمود

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً: الحكمة منهاجاً للدعوة إلى الله:

- **قوله تعالى:** { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) } [النحل: ١٢٥].

ذكر الماوردي في تفسير الآية الكريمة أن المراد بقوله عز وجل: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ } يعني إلى دين الله سبحانه وهو الإسلام. أما قوله تعالى: { بِالْحِكْمَةِ } ففيه تأويلان: أحدهما: بالقرآن، قاله الكلبي. الثاني: بالنبوة، وهو محتمل. { وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } فيها تأويلان: أحدهما: بالقرآن في لين من القول، قاله الكلبي. الثاني: بما فيه من الأمر والنهي، قاله مقاتل. وقوله تعالى: { وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } فيه أربعة أوجه: أحدها: يعني بالعفو. الثاني: بأن توقظ القلوب ولا تسفه العقول. الثالث: بأن ترشد الخلف ولا تذم السلف. الرابع: على قدر ما يحتملون. [٥٢]

وقال الله تعالى: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) }.

ذكر الطبري في تأويل كلمة التوحيد في الآية المباركة ما يأتي:

وأما تأويل قوله: { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ }، فإن معناه: النهي عن أن يعبد شيء غير الله الحي القيوم الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية. لا إله سواه، لا معبود سواه، يعني: ولا تعبدوا شيئا سوى الحي القيوم الذي لا يأخذه سِنة ولا نوم والذي صفته ما وصف في هذه الآية. وهذه الآية إبانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به أقوال المختلفين في البينات من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره أنه فضل بعضهم على بعض واختلفوا فيه، فاقتتلوا فيه كفرا به من بعض، وإيمانا به من بعض. فالحمد لله الذي هدانا للتصديق

حسين: "مشكلة النص والعقل في الفلسفة الاسلامية: دراسات منتخبة"، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م، ص ٥٤، ٧١، ٩٢-٩٣.

[٥٢] الماوردي (ت ٤٥٠ هـ): تفسير الماوردي = النكت والعيون"، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، بدون تاريخ، ٣/٢٢٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

به، ووفقنا للإقرار. وأما قوله: { الْحَيُّ } فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها.[٥٣]

ثالثاً: الحكمة البالغة:

- **قوله تعالى:** { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) } [القمر:٥].

يقول الواحدي: { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ } أي: حكمة تامة، قد بلغت الغاية. [٥٤] وقال القرطبي: يعني القرآن الكريم.[٥٥]

رابعاً: الحكمة في ميثاق النبيين:

- **قوله تعالى:** { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) } [آل عمران: ٨١].

يبين الفخر الرازي أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ تَعْدِيدُ تَقْرِيرِ الْأَشْيَاءِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ وَإِظْهَارًا لِعِنَادِهِمْ. وَمِنْ ذلك مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ بِأَنَّهُمْ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ آمَنُوا بِهِ وَنَصَرُوهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ قَبِلُوا ذَلِكَ وَحَكَمَ تَعَالَى بِأَنَّ مَنْ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ، فَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ. فبذلك يتبين أَنَّهُ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الْإِيمَانَ بِكُلِّ رَسُولٍ جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ. إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ الْوَاحِدَةَ لَا تَكْفِي فِي إِثْبَاتِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَضُمَّ إِلَيْهَا مُقَدِّمَةً أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ، وَعِنْدَ هَذَا لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: هَذَا إِثْبَاتٌ لِلشَّيْءِ بِنَفْسِهِ، لِأَنَّهُ

---

[٥٣] تفسير الطبري، ٥/ ٣٨٦ – ٣٨٧.

[٥٤] الواحدي (ت ٤٦٨ هـ): "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م، ٢٠٨/٤.

[٥٥] القرطبي: "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ١٢٨/١٧، وانظر للتوسع: تفسير الطبري، ٢٢/ ٥٧٢، وتفسير الرازي، ٢٩١/٢٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِثْبَاتٌ لِكَوْنِهِ رَسُولًا بِكَوْنِهِ رَسُولًا، وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ كَوْنِهِ رَسُولًا ظُهُورُ الْمُعْجِزِ عَلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ يَسْقُطُ هَذَا السُّؤَالُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ويذكر الرازي أن الْكِتَاب هُوَ الْمُنَزَّلُ الْمَقْرُوءُ وَالْحِكْمَةُ هِيَ الْوَحْيُ الْوَارِدُ بِالتَّكَالِيفِ الْمُفَصَّلَةِ الَّتِي لَمْ يَشْتَمِلِ عَلَيْهَا الْكِتَابُ.[٥٦]

خامساً: في الحكمة الإبراهيمية:

- **قوله تعالى:** { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: ١٢٩].

ذكر الطبري بعض الآراء في تأويل معنى الحكمة الواردة في قوله تعالى أعلاه. فعن قتادة: { وَالْحِكْمَةَ } أي السنة. وقال بعضهم: { وَالْحِكْمَةَ } هي المعرفة بالدين والفقه فيه. وبسند الطبري إلى ابن وهب قال: قلت لمالك: ما الحكمة؟ قال: " المعرفة بالدين، والفقه في الدين، والاتباع له". ويورد أيضاً عن ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: { وَالْحِكْمَةَ } الدين الذي لا يعرفونه إلا به صلى الله عليه وسلم، يعلمهم إياها. قال: { وَالْحِكْمَةَ } العقل في الدين، وقرأ: { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة: ٢٦٩] ، وقال لعيسى، { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) } [آل عمران: ٤٨] قال، وقرأ ابن زيد: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا } [الأعراف: ١٧٥] قال، لم ينتفع بالآيات، حيث لم تكن معها حكمة. قال: { وَالْحِكْمَةَ } شيء يجعله الله في القلب، ينور له به. ويرى الطبري: أن { الْحِكْمَةَ }: "العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره. وهو عندي مأخوذ من"الحكم" الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل، بمنزلة "الجِلسة والقِعدة" من "الجلوس والقعود"، يقال منه:"إن فلانا لحكيم بين الحكمة"، يعني به: إنه لبين الإصابة في القول والفعل. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم، وفصل قضائك وأحكامك التي تعلمه إياها". [٥٧]

- **قوله تعالى:** { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤) } [النساء: ٥٤].

---

[٥٦] تفسير الفخر الرازي، ٢٣٧/٨ – ٢٧٧.

[٥٧] الطبري (ت ٣١٠ هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ٨٨/٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يبين الطبري أن الحكمة هنا ما أوحي إلى آل إبراهيم مما لم يكن كتاباً مقروءاً. [٥٨] ويشير ابن كثير أن الله سبحانه قد جعل فِي الأسباط، الَّذِينَ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ النُّبُوَّةَ وَأَنْزَل عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ وَحَكَمُوا فِيهِمْ بِالسُّنَنِ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ، وَجَعَلَ منهم الْمُلُوكَ وَمَعَ هَذَا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، أَيْ بِهَذَا الْإِيتَاءِ وَهَذَا الْإِنْعَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ أَيْ كَفَرَ بِهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ وَسَعَى فِي صَدِّ النَّاسِ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْهُمْ وَمِنْ جِنْسِهِمْ. [٥٩]

سادساً: في الحكمة الداوودية:

- **قوله سبحانه:** { فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) } [البقرة: ٢٥١].

نقل ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الحكمة الواردة في الآية الكريمة أنها النبوة، ونقل عن مقاتل أنها الزبور. [٦٠]

وفي قصة جالوت، يروي الطبري بسنده إلى السدي أنه قال: كان أهل الكتاب يقاتلون العمالقة، وكان جالوت ملك العمالقة، وأنهم تغلبوا على أهل الكتاب فأخذوا توراتهم، وضربوا عليهم الجزية. وكان أهل الكتاب يسألون الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه. وكان سبط النبوة قد هلكوا، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى، فأخذوها فحبسوها في بيت، رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام، لما ترى من رغبة الكتابيين في ولدها. فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً، فولدت غلاماً فسمته شمعون. فكبر الغلام، فأرسلته يتعلم التوراة في بيت المقدس، وكفله شيخ من علمائهم وتبناه. فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبياً، أتاه جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحداً غيره فدعاه بلحن الشيخ:"يا شماول! "، فقام الغلام فزعاً إلى الشيخ، فقال: يا أبتاه، دعوتني؟ فكره الشيخ أن يقول:"لا"، فيفزع الغلام، فقال: يا بني ارجع فنم! فرجع فنام. ثم دعاه الثانية، فأتاه الغلام أيضاً فقال:

---

[٥٨] تفسيرالطبري، ٨/ ٤٨٠.

[٥٩] ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ): "تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩ هـ، ٢/ ٢٩٦.

[٦٠] ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): " زاد المسير في علم التفسير"، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ٢٢٧/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

دعوتني؟ فقال: ارجع فنم، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني! فلما كانت الثالثة، ظهر له جبريل فقال: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك، فإن الله قد بعثك فيهم نبياً.[٦١]

وبسند الطبري إلى وهب بن منبه يحدث قال: لما خرج أو لما برز طالوت لجالوت، قال جالوت: أبرزوا إلي من يقاتلني، فإن قتلني فلكم ملكي، وإن قتلته فلي ملككم. فأتي بداود إلى طالوت، فقاضاه إن قتله أن ينكحه ابنته، وأن يحكمه في ماله. فألبسه طالوت سلاحاً، فكره داود أن يقاتله بسلاح، وقال: إن الله لم ينصرني عليه، لم يغن السلاح، فخرج إليه بالمقلاع، وبمخلاة فيها أحجار، ثم برز له. قال له جالوت: أنت تقاتلني، قال داود: نعم، قال: ويلك، ما خرجت إلا كما يخرج إلى الكلب بالمقلاع والحجارة، لأبددن لحمك، ولأطعمنّه اليوم الطير والسباع. فقال له داود: بل أنت عدو الله شر من الكلب، فأخذ داود حجراً ورماه بالمقلاع، فأصابت بين عينيه حتى نفذ في دماغه، فصرع جالوت وانهزم من معه، واحتز داود رأسه. فلما رجعوا إلى طالوت، ادّعى الناس قتل جالوت، فمنهم من يأتي بالسيف، وبالشيء من سلاحه أو جسده، وخبأ داود رأسه. فقال طالوت: من جاء برأسه فهو الذي قتله، فجاء به داود، ثم قال لطالوت: أعطني ما وعدتني، فندم طالوت على ما كان شرط له، وقال: إن بنات الملوك لا بد لهن من صداق وأنت رجل جريء شجاع، فاحتمل صداقها ثلاثمئة غلفة من أعدائنا. وكان يرجو بذلك أن يقتل داود. فغزا داود وأسر منهم ثلاثمئة وقطع غلفهم، وجاء بها. فلم يجد طالوت بداً من أن يزوجه، ثم أدركته الندامة. فأراد قتل داود حتى هرب منه إلى الجبل، فنهض إليه طالوت فحاصره. فلما كان ذات ليلة سلط النوم على طالوت وحرسه، فهبط إليهم داود فأخذ إبريق طالوت الذي كان يشرب منه ويتوضأ، وقطع شيئا من هدب ثيابه وشعرات من لحيته، ثم رجع داود إلى مكانه فناداه: أن [قد نمت ونام] حرسك، فإني لو شئت أقتلك البارحة فعلت، فإنه هذا إبريقك، وشيء من شعر لحيتك وهدب ثيابك! وبعث [به] إليه، فعلم طالوت أنه لو شاء قتله، فعطفه ذلك عليه فأمنه، وعاهده بالله لا يرى منه بأساً. ثم انصرف. ثم كان في آخر أمر طالوت أنه كان يدس لقتله. وكان طالوت لا يقاتل عدواً إلا هزم، حتى مات.[٦٢]

- **وقوله تعالى** عن نبيه داود عليه الصلاة والسلام: { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠) } [ص: ٢٠].

---

[٦١] الطبري: "جامع البيان"، ٢٩٩/٥.

[٦٢] الطبري: "جامع البيان"، ٣٥٥/٥ – ٣٥٦، وقارن القصة بتمامها عند الطبري: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، دار التراث – بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ، ٤٦٧/١ وما بعد، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "البداية والنهاية"، تحقيق علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م، ٢/ ٦، ومابعد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما إن الله سبحانه قد اعطى نبيه داود عليه السلام الحكمة وفصل الخطاب، فقال تعالى: { وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ } يعني: وأعطيناه الفهم والعلم { وَفَصْلَ الْخِطَابِ } يعني: فصل القضاء، وهو البينة على المدعي واليمين على من أنكر. [٦٣]

سابعاً: في الحكمة العيسوية:

- **قوله سبحانه** عن نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام: { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨)} [آل عمران: ٤٨].

يرى ابن عطية أن الحكمة هنا هي السنة التي يتكلم بها الانبياء في الشرعيات والمواعظ ونحو ذلك، مما لم يوح إليهم في كتاب ولا بملك، لكنهم يلهمون إليه وتقوى غرائزهم عليه، كما إنها الإصابة في القول والعمل، فذكر الله تعالى في هذه الآية أنه يعلم عيسى عليه السلام الحكمة، والتعليم متمكن فيما كان من الحكمة بوحي أو مأثورا عمن تقدم عيسى عليه السلام من نبي وعالم، وأما ما كان من حكمة عيسى عليه السلام الخاصة به فإنما يقال فيها يعلمه على معنى يهيىء غريزته لها، ويجعله يتمرن في استخراجها، ويقدره، ويجري ذهنه إلى ذلك. والتَّوْرَاةَ هي المنزلة على موسى عليه السلام، ويروى أن عيسى كان يستظهر التوراة وكان أعمل الناس بما فيها، ويروى أنه لم يحفظها عن ظهر قلب إلا أربعة، موسى ويوشع بن نون [وعزير] وعيسى عليهم السلام، وذكر الْإِنْجِيلَ لمريم وهو ينزل- بعد- لأنه كان كتاباً مذكوراً عند الأنبياء والعلماء وأنه سينزل.[٦٤]

- **قوله تعالى:** { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١١٠) } [المائدة: ١١٠].

يبين الطبري أن الحكمة هنا هي الفهم بمعاني الكتاب الذي نزّل على عيسى عليه السلام. [٦٥].

---

[٦٣] تفسير مقاتل، ٣/ ٦٣٩. وقارن: عبد الله بن وهب (ت ١٩٧ هـ): "تفسير القرآن من الجامع لابن وهب"، تحقيق ميكلوش موراني، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٣ م، ١/٨.

[٦٤] ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ): "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ١/٤٣٨، وقارن مع الطبري: "جامع البيان"، ٦/٤٢٢.

[٦٥] تفسير الطبري، ١١/ ٢١٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والحكمة هنا عند البغوي العلم والفهم والتوراة والإنجيل. [٦٦]

- **قوله تعالى** عن نبيه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام: { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) } [الزخرف: ٦٣].

ذهب الطبري أن الحكمة هنا النبوة. [٦٧] والآلوسي أن الحكمة هنا الإنجيل. [٦٨]

سابعاً: في الحكمة اللقمانية:

- **قوله تعالى:** { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) } [لقمان: ١٢].

وعن مجاهد أيضاً في قوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ } [لقمان: ١٢]، "يعني: الفقه والعقل والإصابة في القول في غير نبوة". [٦٩]

ويقول مقاتل بن سليمان في تفسير قوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ } [لقمان: ١٢]: أي أعطيناه الفهم والعلم من غير نبوة فهذه نعمة. فقلنا له: { أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ } فيما أعطاك من الحكمة، { وَمَنْ يَشْكُرْ } تعالى في نعمه فيوحده { فَإِنَّمَا يَشْكُرُ } أي: يعمل الخير { لِنَفْسِهِ } { وَمَنْ كَفَرَ } النعم فلم يوحد ربه سبحانه { فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } أي عن خلقه في سلطانه. [٧٠]

---

[٦٦] البغوي (ت ٥١٠ هـ): "معالم التنزيل في تفسير القرآن" = تفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ، ١٤٢٠ هـ، ٢/ ١٠١.

[٦٧] تفسير الطبري، ٢١/ ٦٣٤.

[٦٨] الآلوسي (ت ١١٢٧ هـ) :"روح البيان"، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ، ٨ / ٣٨٥.

[٦٩] تفسير مجاهد، ص ٥٤١. وقارن مع تفسير يحيى بن سلام (ت ٢٠٠ هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ٢/ ٦٧٢.

[٧٠] تفسير مقاتل، ٣/ ٤٣٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثامناً: في الحكمة المحمدية:

- **قوله تعالى:** { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤) } [آل عمران:١٦٤].

يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية أن الله سبحانه أنعم على من آمن مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها. إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ من نسبهم، أو من جنسهم عربياً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به. والنبي صلى الله عليه وسلم من أشرفهم لأنه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم. يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِ القرآن بعد ما كانوا جهالاً لم يسمعوا الوحي. وَ يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والأعمال. { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } أي القرآن والسنة. وَإِنْ كانُوا من قبل بعثة الرسول صلّى الله عليه وسلّم في ضلال ظاهر.[٧١]

- **قوله تعالى:** { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) } [النساء: ١١٣].

يذكر الطبري أن المراد بقوله تعالى: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }: ومن فضل الله عليك، يا محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، مع سائر ما تفضَّل به عليك من نعمه، أنه أنزل عليك الكتاب، وهو القرآن الذي فيه بيان كل شيء وهدًى وموعظة، والحكمة، وهي ما كان في الكتاب مجملا ذكره، من حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وأحكامه، ووعده ووعيده { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ } من خبر الأولين والآخرين، وما كان وما هو كائن، فكل ذلك من فضل الله عليك، يا محمد، صلى الله عليه وآله وسلم مُذْ خلقك، فاشكره على ما أولاك من إحسانه إليك، بالتمسك بطاعته.[٧٢] ويبين ابن كثير أن الكتاب هنا القرآن الكريم والحكمة السنة النبوية. [٧٣]

- **قوله سبحانه:** { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) } [البقرة: ١٥١].

---

[٧١] البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨ هـ، ٦٤/٢.

[٧٢] تفسير الطبري، ٩ / ٢٠٠.

[٧٣] تفسير ابن كثير، ٣٦٤/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بيّن الشافعي أن الله سبحانه فرض في كتابه اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم. وذكر أن الله سبحانه قال: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ١٥١]. وقال: "سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة: سنة رسول الله. وهذا يشبه ما قال لأن القرآن ذكر وأتبِعَتْهُ الحكمة، وذكر اللَّه سبحانه مَنَّهُ على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز أن يقال الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله سلم. وذلك أنها مقرونة مع كتاب اللَّه، وأن اللَّه افترض طاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأوجب على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول: فرضٌ إلا لكتاب اللَّه ثم سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. لما تبين أن اللَّه جعل الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به. وسنة رسول اللَّه مبيّنة عن اللَّه معنى ما أراد دليلاً على خاصّه وعامّه. ثم قَرَنَ الحكمة بها بكتابه فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحدٍ من خلقه غيرِ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قَرَنَ الحكمة بها بكتابه فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحدٍ من خلقه غيرِ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.[٧٤]

- **قوله سبحانه:** { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) } [البقرة: ٢٣١].

الحكمة هنا، ينقل الشوكاني، هي السنة التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. [٧٥]

- **قوله تعالى:** { ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩) } [الاسراء: ٣٩].

يقول مقاتل بن سليمان: أي في هؤلاء الآيات التي أوحاها الله إليك يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). [٧٦]

---

[٧٤] تفسير الامام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ): جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، ط١، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م، ١/ ٢٤١.

[٧٥] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): "فتح القدير"، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ، ١/٢٧٨.

[٧٦] تفسير مقاتل بن سليمان: نفسه، ٢/ ٥٣١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا بل إن آيات آخرى من القرآن الكريم قد نزلت تأييداً للمفاهيم السابقة. فبين مقاتل أن اليهود قد جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم بإن في التوراة علم كل شيء وقال الله تبارك وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم قل لليهود { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: ٨٥] عندي كثيراً عندكم وعلم التوراة عندكم كثير، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: من قال هذا؟ فو الله ما قاله لك إلا عدو لنا يعنون جبريل عليه السلام، ثم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: خاصة لنا أنا لم نؤت من العلم إلا قليلا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل الناس كلهم عامة. فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ولا أنت ولا أصحابك. فقال: نعم. فقالوا: كيف تجمع بين هاتين؟ تزعم أنك أوتيت الحكمة { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } وتزعم أنك لم تؤت من العلم إلا قليلاً. فنزل قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ } [لقمان: ٢٧]. [٧٧]

- **قوله تعالى:** { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) } [الاحزاب: ٣٤].

بيّن الإمام الشافعي أن اللّه تعالى فرض على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: ١٢٩]. وقال تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [آل عمران: ١٦٧]، وقال سبحانه: { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ } [الاحزاب: ٣٤] وقال الشَّافِعِي: "فذكر اللّه تعالى الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم". وهذا يشبه ما قال، واللّه أعلم، بأن القرآن ذكر واتبعته الحكمة، وذكر الله تعالى منّته

[٧٧] تفسير مقاتل بن سليمان، ٥٤٨/٢، ٦٠٥. وانظر تخريج الحديث عند: الترمذي: "الجامع الصحيح"، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، الصفحة أو الرقم ٣١٤٠، خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، و الألباني: "ظلال الجنة في تخريج "السنة"، الصفحة أو الرقم: ٥٩٥، خلاصة حكم المحدث: صحيح، وابن دقيق العيد: "الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدوة في الصحاح"، دار الباز، مكة، ١٤٠٥ هـ، الصفحة أو الرقم: ١٠٤، خلاصة حكم المحدث: صحيح، والألباني: "صحيح سنن الترمذي"، تحقيق زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨ هـ، الصفحة أو الرقم ٣١٤٠، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح، مقبل بن هادي الوادعي: "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"، ط١، مكتبة دار القدس، صنعاء، ١٤١١ هـ، الصفحة أو الرقم ١٨٢، خلاصة حكم المحدث: صحيح الإسناد ورجاله ثقات مشهورون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة. فلم يجز أن تعدّ الحكمة هنا إلا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنها مقرونة مع كتاب اللّه، وأن الله قد افترض طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوجب على الناس اتباع أمره. فلا يجوز أن يقال لقول: فرض إلا لكتاب الله، ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبّينة عن الله ما أراد دليلاً على خاصه وعامّه، ثم قرن الحكمة بكتابه، فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم. [٧٨]

- **قوله تعالى:** { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) } [الجمعة:٣]. [٧٩]

وعن ابن وهب، قال: حدثني مالك، عن زيد بن أسلم في قول الله تعالى: { وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا } [الأنبياء: ٧٩]، قال زيد: "إن الحكمة العقل". وقال الامام مالك: "وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله، وأمرٌ يدخله الله القلوب برحمته وفضله". [٨٠]

وقال ابن وهب : وقال لي مالك في قول الله: { وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } [مريم: ١٢]، أي الكتاب والحكمة؛ قال مالك: الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به.

وقال مالك أيضاً: ومما يبين ذلك أنك [تجد رجلا] عاقلاً في أمر الدنيا ذا نظر فيها ضعيفاً في أمر الله وآخرته، [وتجد آخر ضعيفاً] في أمر دنياه عالماً بأمر دينه بصيراً به يؤتيه الله [إياه ويحرمه هذا (؟)] ، فالحكمة: الفقه في دين الله. وعن ابن وهب قال: وحدثني أيضا ابن زيد عن أبيه في قول الله: { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ } ، فقال: الحكمة العقل في الدين. [٨١]

---

[٧٨] تفسير الامام الشافعي، ١/ ٢٣٣ – ٢٢٤.

[٧٩] عن كلمة (الحكمة) في القرآن الكريم، انظر: محمد فؤاد عبد الباقي: "المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف"، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢١٤.

[٨٠] عبد الله بن وهب: "تفسير القرآن من الجامع لابن وهب"، ١/١٣٠.

[٨١] تفسير القرآن الجامع لابن وهب، ١/١٣٠، ١٦٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خاتمة

توحيد الله سبحانه وإخلاص العبادة له القضية الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم.

الحكمة في القرآن الكريم تأتي في سياق إما أن تكون هي الوحي نفسه، أي القرآن الكريم أو السنة النبوية، أو أن تكون الفهم العقلي والانساني الناتج عن التأمل في الوحي وتطبيقه. وبهذا يمكن أن نقول أنها تعني التحقق من المفهوم الدقيق للآية القرآنية وصولاً إلى أقرب دلالة للوحي من أجل أن يكون تطبيق هذه الدلالة في الواقع المنظور تطبيقاً صحيحاً.

وهذه الحكمة تامة كاملة لأنها حكمة إلهية. وتكتسب هذه الحكمة الاسلامية صفة الإلزام في الأتباع من الأمر الإلهي المتكرر بوجوب طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وهي مرادفة مرادفة لمعنى الإيمان.

وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم في مواطن عدة، فهي تعني إصابة الوحي في القرآن الكريم، وهي منهاج الدعوة إلى الله، حكمة بالغة، وموجودة في الميثاق الذي أخذه الله سبحانه على النبيين، كما هو الحال في الحكمة الإبراهيمية، والحكمة الداوودية، و الحكمة العيسوية، و الحكمة المحمدية. لماذا يتفاوت الناس؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قائمة المصادر والمراجع

١- الآلوسي (ت ١١٢٧ هـ) :"روح البيان"، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

٢- الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٣- الألباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط١، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ.

٤- _____: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط١، ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١ – ٢٠٠٠ م.

٥- _____: "صحيح سنن الترمذي"، تحقيق زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨ هـ.

٦- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر،ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر]، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه.

٧- البغوي (ت ٥١٠ هـ): "معالم التنزيل في تفسير القرآن" = تفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ، ١٤٢٠ هـ.

٨- البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨ هـ.

٩- البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ هـ.

١٠- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاكأبو عيسى (ت ٢٧٩هـ): "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.: "الجامع الصحيح"، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١١- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ): "العبودية"، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الطبعة السابعة المجددة، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (هذه الرسالة مطبوعة أيضًا ضمن "مجموع الفتاوى" ١٤٩/١٠، وفي "الفتاوى الكبرى" ١٥٥/٥).

١٢- الجيلاني، الشيخ عبد القادر (ت ٥٦٠ هـ): "الفتح الرباني"، دار الريان للتراث، القاهرة، بدون تاريخ.

١٣- أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ): الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، ط١، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٤- حسين، رواء محمود: "العروة الوثقى: مدخل إلى علم الحكمة الإسلامية"، ط١، دار ناشري للنشر الأليكتروني، الكويت، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .

١٥- : "شرعة ومنهاج: أصول المنهج العلمي في علم الحكمة الإسلامية"، ط١، دار ناشري للنشر الاليكتروني، الكويت، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

١٦- : "مشكلة النص والعقل في الفلسفة الاسلامية: دراسات منتخبة"، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م.

١٧- الرازي، فخر الدين (ت ٦٠٦هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٨- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ): "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧ هـ.

١٩- السجستاني، أبو داود سليمان بن الاشعث: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٩ هـ.

ونسخة أخرى: "سنن أبي داود"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بدون تاريخ.

٢٠- الشافعي (ت ٢٠٤ هـ): "الرسالة"، تحقيق أحمد شاكر، ط١، مكتبه الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢١- : تفسير الامام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ): جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، ط١، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م.

٢٢- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): "فتح القدير"، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٢٣- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٢٤- : : تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، دار التراث — بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ.

٢٥- عبد الباقي، محمد فؤاد: "المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف"، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٦- ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ): "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٢٧- القرطبي (ت ٦٧١ هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٢٨- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٢٩- : "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، دار الكتب العلمية — بيروت، بدون تاريخ.

٣٠- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "البداية والنهاية"، تحقيق علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م.

٣١- الماوردي (ت ٤٥٠ هـ): تفسير الماوردي = النكت والعيون"، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، بدون تاريخ.

٣٢- مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): "تفسير مجاهد"، تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣٣- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" المعروف ب (صحيح مسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

٣٤- مقاتل بن سليمان، أبو الحسن، بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ): "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٣٥- الندوي، أبو الحسن الحسني: " العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية"، ط٢، دار القلم، الكويت، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٣٦- النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ.

٣٧- النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط١، مكتبة المؤيد، ١٤٠٨ هـ.

٣٨- الواحدي (ت ٤٦٨ هـ): "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٣٩- الوادعي، مقبل بن هادي: "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"، ط١، مكتبة دار القدس، صنعاء، ١٤١١ هـ.

٤٠- ابن وهب، عبد الله (ت ١٩٧ هـ): "تفسير القرآن من الجامع لابن وهب"، تحقيق ميكلوش موراني، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٣ م.

يحي بن سلام (ت ٢٠٠ هـ): " تفسير يحي بن سلام"، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤

الحكمة الثالثة

التبيان

في شمولية المعرفة القرآنية

المدخل الأول إلى تفسير الحكمة القرآنية

نشر في الألوكة، تاريخ الإضافة تاريخ الإضافة: ٢٠١٥/٣/٨ ميلادي - هجري 17/5/1436
على الرابط الآتي
/http://www.alukah.net/sharia/0/83448

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم:

على بركة الله تعالى، وبلطف منه ورحمة ورفق وفتح منه سبحانه نشرع بعد التوكل على الله جل شأنه في وضع الخطوات الأولى للبدء بتفسير جديد للقرآن الكريم أسميناه (تفسير الحكمة القرآنية)[٨٢]، ويراد لهذا المدخل أن يكون مقدمة منهجية لتحديد معالم المنهج الذي سنسير فيه إن شاء الله تعالى من أجل تفسير كتاب الله سبحانه. وسيأتي هذا المدخل تباعاً على حلقات إن شاء الله تعالى، تتضمن كل حلقة شيئاً من المعارف القرآنية الميسرة لـ(تفسير الحكمة القرآنية).

وهذه الحلقة الأولى من المدخل إلى تفسير الحكمة القرآنية تتضمن استنباطات حول شمولية المعرفة القرآنية والمفاهيم الكلية التي جاء بها كتاب الله تعالى إستناداً إلى قوله تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [النحل: ٨٩].

ونسأل الله سبحانه بمنه وجوده وكرمه أن يعيننا على إتمامه، وأن يجعل قولنا وعملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

رواء محمود حسين

٩ / جمادى الأولى / ١٤٣٦ هـ

٢٨ / ٢ / ٢٠١٥ م

[٨٢] سبق هذا المدخل محاولتان لتفسير وفهم كتاب الله سبحانه، ومحاولة وضع علوم جديد على طريق تجديد التفسير والعلوم القرآنية، المحاولة الأولى كانت بعنوان: " أرض الله الواسعة .. تأملات في الآية (٥٦) من سورة العنكبوت"، نشر في موقع الألوكة، بتاريخ ١٤٣٥/٩/٣ هجري - ٢٠١٤/٦/٣٠ ميلادي، على الرابط الآتي: http://www.alukah.net/sharia/0/72832/ ، وأما المحاولة الثانية فكانت بعنوان: " حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم"، نشرت أيضاً في موقع الألوكة بتاريخ: ١٤٣٥/١١/١٥ هجري - ٢٠١٤/٩/٩ م، على الرابط الآتي: http://www.alukah.net/sharia/0/75741/.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولاً: الكتاب الشامل

المعرفة التي تضمنها القرآن الكريم، وشبكة المفاهيم الكلية والتفصيلية التي جاء بها الكتاب العزيز معرفة هائلة تفتح أمام العقل الإنساني مجالات معرفة الخالق والمخلوق، وتعينه على التفكر في (ملكوت السموات والأرض) و(فهم طبيعة الوجود الإنساني) والغاية والحكمة من خلق الإنسان والكون، (ما بعد الموت).

والمعنى المتقدم أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [النحل: ٨٩]. قال يحيى بن سلام في تفسير الآية المذكورة: " مَا بُيِّنَ فِيهِ مِنَ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ، وَالْكُفْرِ، وَالإِيمَانِ، وَالأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَكُلِّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ. وعَنْ أَبِي قِلابَةَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سِتِّ آيَاتٍ: آية مُبَشِّرَةٍ، وَآيَةٍ مُنْذِرَةٍ، وَآيَةِ فَرِيضَةٍ، وَآيَةٍ تَأْمُرُكَ، وَآيَةٍ تَنْهَاكَ، وَآيَةِ قِصَصٍ وَأَخْبَارٍ". [٨٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أُبَيُّ وَهُوَ يُصَلِّي، فَالتَفَتَ أُبَيٌّ وَلَمْ يُجِبْهُ، وَصَلَّى أُبَيٌّ فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ، مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلاَةِ، قَالَ: أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} قَالَ: بَلَى وَلاَ أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: تُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الزَّبُورِ وَلاَ فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلاَةِ؟ قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ القُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الْإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الزَّبُورِ وَلاَ فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ. [٨٤]

وقال الشافعي: " الحمد لله على جميع نعمه بما هو أهله، وكما ينبغي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، بعثه بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من

---

[٨٣] يحيى بن سلام (المتوفى: ٢٠٠هـ): " تفسير يحيى بن سلام"، تحقيق الدكتورة هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ١ / ٨٢.

[٨٤] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): "الجامع الكبير - سنن الترمذي"، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م، ٥ / ٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حكيم حميد، فهدى بكتابه، ثم على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم – بما أنعم عليه، وأقام الحجة على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقال: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً } الآية ". [٨٥]

نقل الطبري عن ابن جريج، في قوله : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } قال: ما أُمِروا به، ونهوا عنه. [٨٦]

إلى هذه المعرفة الشاملة أشار السيوطي في كتابه: " الإكليل في استنباط التنزيل " فقد قال الله تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [النحل: ٨٩]، وقال: { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام : ٣٨].

وقال – صلى الله عليه وسلم –: "ستكون فتن" قيل وما المخرج منها؟ قال: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم" أخرجه الترمذي وغيره.

وقال سعيد بن منصور في سننه: عن ابن مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين. قال البيهقي أراد به أصول العلم. وقال الحسن البصري: أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة: التوراة. والإنجيل. والزبور، والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان، ثم أودع علوم الفرقان المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير الكتب المنزلة. أخرجه البيهقي في الشعب. [٨٧]

وقال ابن مسعود: إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله، أخرجه ابن أبي حاتم. وقال ابن مسعود أيضاً: أنزل في القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن، أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم. وأخرج ابو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة". وقال الإمام الشافعي، رضي الله عنه: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع شرح السنة شرح للقرآن، وقال بعض السلف: ما سمعت حديثاً إلا التمست له آية من كتاب الله: وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على وجهه إلا وجدت

---

[٨٥] الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ): " تفسير الإمام الشافعي "، تحقيق د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م، ٢ / ١٠٠٨.

[٨٦] محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن "، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ١٧ / ٢٨٧.

[٨٧] السيوطي: " الإكليل في استنباط التنزيل "، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م، ص ١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مصداقه في كتاب الله، أخرجه ابن أبي حاتم، وقال الشافعي أيضاً: جميع ما حكم به النبي – صلى الله عليه وسلم – فهو مما فهمه من القرآن. [٨٨]

ويربط الفخر الرازي بين الآية القرآنية المذكورة في سورة النحل، أي قوله تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً } [النحل : ٨٩]، وبين الآية التي تليها في السورة نفسها مباشرة، أي قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [النحل : ٩٠]، فقال: " أَرْدَفَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ مُشْتَمِلَةً عَلَى الْأَمْرِ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، كَانَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِكَوْنِ الْقُرْآنِ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ هُوَ هَذِهِ التَّكَالِيفُ السِّتَّةُ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ، لِأَنَّ جَوْهَرَ النَّفْسِ مِنْ زُمْرَةِ الْمَلَائِكَةِ وَمِنْ نَتَائِجِ الْأَرْوَاحِ الْعَالِيَةِ الْقُدْسِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ دَخَلَ فِي هَذَا الْعَالَمِ خَالِيًا عَارِيًا عَنِ التَّعَلُّقَاتِ فَتِلْكَ الثَّلَاثَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا هِيَ الَّتِي تُرَقِّيهَا بِالْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتِلْكَ الْمَعَارِفُ وَالْأَعْمَالُ هِيَ الَّتِي تُرَقِّيهَا إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَسُرَادِقَاتِ الْقُدْسِ، وَمُجَاوَرَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتِلْكَ الثَّلَاثَةُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا هِيَ الَّتِي تَصُدُّهَا عَنْ تِلْكَ السَّعَادَاتِ وَتَمْنَعُهَا عَنِ الْفَوْزِ بِتِلْكَ الْخَيْرَاتِ، فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الثَّلَاثَةِ، وَنَهَى عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَقَدْ نَبَّهَ عَلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُسَافِرُونَ مِنْ عَالَمِ الدُّنْيَا إِلَى مَبْدَأِ عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ ". [٨٩]

وقال ابن القيم واصفاً كتاب الله تعالى: " ... الكتاب الْمُبِينِ، الْفَارِقُ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالشَّكِّ وَالْيَقِينِ، أَنْزَلَهُ لِنَقْرَأَهُ تَدَبُّرًا، وَنَتَأَمَّلَهُ تَبَصُّرًا، وَنَسْعَدَ بِهِ تَذَكُّرًا، وَنَحْمِلَهُ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهِ وَمَعَانِيهِ، وَنُصَدِّقَ بِهِ وَنَجْتَهِدَ عَلَى إِقَامَةِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَنَجْتَنِيَ ثِمَارَ عُلُومِهِ النَّافِعَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ أَشْجَارِهِ، وَرَيَاحِينَ الْحِكَمِ مِنْ بَيْنِ رِيَاضِهِ وَأَزْهَارِهِ، فَهُوَ كِتَابُهُ الدَّالُّ عَلَيْهِ لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَتَهُ، وَطَرِيقُهُ الْمُوَصِّلَةُ لِسَالِكِهَا إِلَيْهِ، وَنُورُهُ الْمُبِينُ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَرَحْمَتُهُ الْمُهْدَاةُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ إِذَا انْقَطَعَتِ الْأَسْبَابُ، وَبَابُهُ الْأَعْظَمُ الَّذِي مِنْهُ الدُّخُولُ، فَلَا يُغْلَقُ إِذَا غُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا تَمِيلُ بِهِ الْآرَاءُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَالنُّزُلُ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تُقْلِعُ سَحَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي آيَاتُهُ، وَلَا تَخْتَلِفُ دِلَالَاتُهُ، كُلَّمَا ازْدَادَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ تَأَمُّلًا وَتَفْكِيرًا، زَادَهَا هِدَايَةً وَتَبْصِيرًا، وَكُلَّمَا بَجَسَتْ مَعِينُهُ فَجَّرَ لَهَا يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ تَفْجِيرًا، فَهُوَ نُورُ الْبَصَائِرِ مِنْ

[٨٨] السيوطي: " الإكليل في استنباط التنزيل "، ص ١١ – ١٢.

[٨٩] فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٢٠ / ٢٦٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَمَاهَا، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ مِنْ أَدْوَائِهَا وَجَوَاهَا، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ النُّفُوسِ، وَرِيَاضُ الْقُلُوبِ، وَحَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ، وَالْمُنَادِي بِالْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ: يَا أَهْلَ الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، نَادَى مُنَادِي الْإِيمَانِ عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } [الأحقاف: ٣١] .[٩٠]

ويؤكد أبو الأعلى المودودي أن الأسلام (دين العلم والعقل) ويقوم على أساس العلم، ويخاطب العقل في صميمه، ويهدف إلى إخراج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور العلم، لكي يعرف مكانته الحقيقية في الكون، ويدرك الجانب الحقيقي لعلاقته بالموجودات، ويستعين بالطاقات الظاهرة والكامنة والوسائل المادية والروحية لبلوغ الغاية الحقيقية لحياته، وهي القيام بالخدمة التي أوجبها الله تعالى عليه حينما جلعه خليفة له في هذه الحياة الدنيا، وابتغاء مرضاة الله تعالى. لا يعطل هذا الدين قوة قوة من قوى الإنسان، بل يرشدها لصرفها إلى طريق الحق والأستقامة، ولا يكبت الشهوات الإنسانية، بل يضع لها حداً معقولاً ومشروعاً. يقوم هذا الدين على العلم والعقل قبل كل شيء وبعده، فلا يمكن أن يتبع إتباعاً صحيحاً إلا بالعلم والعقل. [٩١]

والقرآن الكريم، كما يؤكد العقاد، يجعل التفكير الصحيح والنظر السليم إلى آيات ما في خلقه وسيلة من وسائل الإيمان، قال تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [البقرة : ١٦٤]. [٩٢]

يؤكد د. عبد الحكيم الأنيس أنه لما كانت هذه الحياة ليست دار بقاء للإنسان، كان لا بد من دليل يرشده في حياته فيها، ويعرفه بأخطارها، ويبين له ما سيقبل عليه، من دار أخرى فيها النعيم للمتقين، والجحيم للخائضين المعرضين. وقد أرسل الله رسلًا كراماً وأنزل عليهم كتباً، تنير الطريق، وتوجه السالكين، إلى أن ختم الأنبياء بسيدهم الهادي البشير محمد صلى الله عليه وسلم، وأيده بمعجزاته وأنزل عليه كلماته، وقال تعالى: { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

---

[٩٠] ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ١ / ٢٧.

[٩١] أبو الأعلى المودودي: " الإنسان في مواجهة التحديات المعاصرة"، تعريب خليل أحمد الحامدي، ط٤، دار القلم، الكويت، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م، ص ١٠ – ١٢.

[٩٢] عباس محمود العقاد: " الفلسفة القرآنية: كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والإجتماعية التي وردت موضوعاتها في آيات القرآن الكريم"، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦) } [المائدة: ١٥ – ١٦] وقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥)}، [النساء: ١٧٤ – ١٧٥]. [٩٣]

ويؤكد الشيخ عبد الحكيم الأنيس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك فينا كتاب الله وسنته عليه الصلاة والسلام، وإن تمسكنا بهما فلن نضل أبداً، ومن هنا كان من المحتم على الأمة الاعتصام بهما. ولا بد لذلك من الإقبال على درسهما، والبحث الدائم عن أسرارهما، والتطلع الدائم إلى أحكامهما وإرشاداتهما. وكان السلف صحابة وتابعين أحرص الناس على تحصيل علمه، والاستنارة بفهمه، والترغيب بالوقوف على معانية، والتنفير من الجهل بمراميه.[٩٤]

[٩٣] ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ): "العجاب في بيان الأسباب"، تحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي، السعودية، ١/٥.

[٩٤] العجاب في بيان الأسباب، ١/ ٦ – ٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً: مقدمة في سبيل الوصول إلى المعرفة الشاملة للقرآن الكريم

ليس قصدنا في هذا السبيل الموصل إلى المعرفة القرآنية الشاملة الإستقصاء بل سنورد نماذج تساعد على هذه الغاية، على أمل أن يتم تقديم هذه الوسائل الموصلة لفهم كتاب الله سبحانه تباعاً لاحقاً إن شاء الله تعالى:

١- كيفية فقه كتاب الله تعالى:

أورد القرطبي في مقدمة تفسيره ما أسماه: (باب كيفية التعلم والفقه لكتاب الله تعالى، وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما جاء أنه سهل على من تقدم العمل به دون حفظه):

عَنْ عُثْمَانَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيٍّ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقْرِئُهُمُ الْعَشْرَ فَلَا يُجَاوِزُونَهَا إِلَى عَشْرٍ أُخْرَى حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَيُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا. وَفِي مُوَطَّأِ مَالِكٍ: انه بلغه ان عبد الله ابن عُمَرَ مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِي سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا. وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ ثَابِتٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى " أَسْمَاءُ مَنْ رَوَى عَنْ مَالِكٍ": عَنْ مِرْدَاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبِي بِلَالٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: تَعَلَّمَ عُمَرُ الْبَقَرَةَ فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمَّا خَتَمَهَا نَحَرَ جَزُورًا. وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ نَتَعَلَّمِ الْعَشْرَ الَّتِي بَعْدَهَا حَتَّى نَعْرِفَ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَأَمْرَهَا وَنَهْيَهَا. وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّا صَعُبَ عَلَيْنَا حِفْظُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَسَهُلَ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِهِ، وَإِنَّ مَنْ بَعْدَنَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ حِفْظُ الْقُرْآنِ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ بِهِ. وعن ابن عمر قال: كان الفضل مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا السُّورَةَ أَوْ نَحْوَهَا، وَرُزِقُوا العمل بالقران، وان أخر هذه الامة يقرءون الْقُرْآنَ مِنْهُمُ الصَّبِيُّ وَالْأَعْمَى وَلَا يُرْزَقُونَ الْعَمَلَ بِهِ. وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: اعْلَمُوا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا فَلَنْ يَأْجُرَكُمُ بعلمه حتى تعلموا.[٩٥]

٢- أنواع العلوم القرآنية:

يعتمد (تفسير الحكمة القرآنية) اعتماداً كبيراً على المؤلفات السابقة في مجال معرفة الأنواع اللازمة لفهم كتاب الله سبحانه.

[٩٥] القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ): " الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي "، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ١/ ٣٩ – ٤٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ذكر السيوطي في كتابه: " الإتقان في علوم القرآن" الأنواع الآتية: النَّوْعُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي: الْمَكِّيُّ وَالْمَدَنِيُّ. الثالث وَالرَّابِعُ: الْحَضَرِيُّ وَالسَّفَرِيُّ. الْخَامِسُ وَالسَّادِسُ: النَّهَارِيُّ وَاللَّيْلِيُّ. السَّابِعُ وَالثَّامِنُ: الصَّيْفِيُّ وَالشِّتَائِيُّ. التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ: الْفِرَاشِيُّ وَالنَّوْمِيُّ. الْحَادِيَ عَشَرَ: أَسْبَابُ النُّزُولِ. الثَّانِيَ عَشَرَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ. الثَّالِثَ عَشَرَ: آخِرُ مَا نَزَلَ. الرَّابِعَ عَشَرَ: مَا عُرِفَ وَقْتُ نُزُولِهِ، الْخَامِسَ عَشَرَ: مَا أُنْزِلَ فِيهِ وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، السَّادِسَ عَشَرَ: مَا أُنْزِلَ مِنْهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ. السَّابِعَ عَشَرَ: مَا تَكَرَّرَ نُزُولُهُ. الثَّامِنَ عَشَرَ: مَا نَزَلَ مُفَرَّقًا. التَّاسِعَ عَشَرَ: مَا نَزَلَ جَمْعًا. الْعِشْرُونَ: كَيْفِيَّةُ إنزاله. وهذه كلها متعلقة بالنزول. الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: الْمُتَوَاتِرُ. الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ. الْآحَادُ. الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ: الشَّاذُّ. الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: قِرَاءَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الْخَامِسُ وَالسَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: الرُّوَاةُ وَالْحُفَّاظُ. السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: كَيْفِيَّةُ التَّحَمُّلِ. الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: الْعَالِي وَالنَّازِلُ. التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ: الْمُسَلْسَلُ وهذه متعلقة بالسند. الثَّلَاثُونَ: الِابْتِدَاءُ. الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ: الْوَقْفُ. الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ: الْإِمَالَةُ. الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ: الْمَدُّ. الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: تَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ. الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ: الْإِدْغَامُ. السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ: الْإِخْفَاءُ. السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: الْإِقْلَابُ. الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ: مَخَارِجُ الْحُرُوفِ وهذه متعلقة بالأداء. التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ: الْغَرِيبُ. الْأَرْبَعُونَ: الْمُعَرَّبُ. الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ: الْمَجَازُ. الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ: الْمُشْتَرَكُ. الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْمُتَرَادِفُ. الرَّابِعُ وَالْخَامِسُ: وَالْأَرْبَعُونَ الْمُحْكَمُ وَالْمُتَشَابِهُ. السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْمُشْكِلُ. السَّابِعُ وَالثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْمُجْمَلُ وَالْمُبَيَّنُ. التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ: الِاسْتِعَارَةُ. الخمسون: التشبيه. الحادي والثاني والخمسون: الكناية والتعريض. [٩٦]

ويستند تفسير الحكمة القرآنية إلى العودة إلى (لغة العرب) المنبع الصافي في فهم آي القرآن الكريم، ونكتشف بالعودة إلى "مسائل نافع ابن الأرزق" أن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قد اعتمد هذه المنهجية في تأويل كتاب الله سبحانه.

جاء في مقدمة " مسائل نافع ابن الأزرق": " بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد أسدل رجله في حوض زمزم، إذ الناس قد اكتنفوه من كل ناحية يسألونه عن تفسير القرآن، وعن الحلال والحرام، وإذا هو يتعاى بشيء يسألونه عنه. فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عريم: يا ابن عباس، ما يحملك على تفسير القرآن والفتيا بما لا علم لك به؟ أشيئاً سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أم هذا منك تخرّصاً، فإن كان هذا منك تخرّصاً فهذه والله الجرأة على الله عز وجل. فقال ابن عباس مجيباً لنافع بن الأزرق: لا والله، ما هذا مني تخرّصاً،

[٩٦] جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ): " الإتقان في علوم القرآن "، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، ص ٢٠ – ٢١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكنه علم علمنيه الله، ولكني سأدلك على من هو أجرأ مني يا ابن الأزرق؟ قال: دلّني عليه. فقال: رجل تكلم بما لا علم له به، أو رجل كتم الناس علما علّمه الله عز وجل، فذاك أجرأ مني يا ابن الأزرق. وقال نجدة: فإنك تريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله عزّ وجل، فتفسره لنا، وتأتينا بمصداقه من كلام العرب، فإن الله عزّ وجل أنزل القرآن بلسان عربي مبين. قال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما تجدا علمه عندي حاضرا إن شاء الله تعالى". قال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما تجدا علمه عندي حاضراً إن شاء الله تعالى. [٩٧]

ثم يشرع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الإجابة عن الأسئلة بتفسير الكلمات التي سألا عنها والموجودة في كتاب الله سبحانه ببينان معناها، والإتيان بدليل المعنى من اللغة العربية، إلى أن يقدم (٢٥٠) إجابة من لغة العرب على (٢٥٠) مفردة قرآنية سألا عنها. ومن ذلك: " فقالا: يا ابن عباس: أخبرنا عن قول الله عزّ وجل: { عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ } [المعارج: ٣٧] قال: عزين: الحلق الرفاق، قالا: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول: فجاءوا يهرعمون إليه حتّى ... يكونوا حول منبره عزينا". [٩٨]

كما إن لمعرفة (علم الناسخ والمنسوخ) أهمية قصوى في تفسير وفهم كتاب الله تعالى. فعن [أبي] البختري قال: " مرّ عليّ، عليه السلام، بمسجد الكوفة فرأى قاصّاً يقصّ على الناس فقال: من هذا؟ فقالوا: رجل يحدّث الناس. فقال عليّ، عليه السلام: هذا يقول: اعرفوني اعرفوني أنا فلان بن فلان. ثمّ قال: اسألوه هل يعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقالوا له: أمير المؤمنين يقول لك: تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا. فقال عليّ؛ فلا يرجع يحدّث" . [٩٩]

ومن (الناسخ والمنسوخ) قوله تعالى: { كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) } [البقرة: ١٨٠]، قال قتادة: " والخير المال كأن يقال ألف

[٩٧] نافع ابن الأزرق: " مسائل نافع ابن الأزرق عن عبد الله بن عباس"، من طريقين: رواية أبي بكر أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم الختلي (ت ٣٦٥ هـ)، ورواية أبي طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف (ت ٤٤٢ هـ)، حققها وعلق عليها ووضع فهارسها وذيلها ب(ذيل مسائل نافع) التي لم ترد في هذه الرواية الدكتور محمد أحمد الدالي، ط١، الجفان والجابي، قبرص، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، ص ٢٧.

[٩٨] نافع ابن الأزرق: " مسائل نافع ابن الأزرق"، ص ٢٨. وديوان عبيد بن الأبرص مطبوع بشرح أشرف أحمد عدرة، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

[٩٩] محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري (المتوفى: ١٢٤هـ): " الناسخ والمنسوخ – وتنزيل القرآن بمكة والمدينة"، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (٤١٢ هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م، ص ١٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فما فوق ذلك فأمر أن يوصي لوالديه وأقربيه ثم نسخ بعد ذلك في سورة النساء فجعل للوالدين نصيباً معلوماً وألحق لكل ذي ميراث نصيبه منه وليست لهم وصية فصارت الوصية لمن لا يرث من قريب وغير قريب. [١٠٠]

وغير ذلك الكثير من العلوم التي اشتمل عليها كتاب الله تعالى بما لا يستغنى عنه المتتبع والدارس للكتاب العزيز.

[١٠٠] قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (المتوفى: ١١٧هـ): " الناسخ والمنسوخ"، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٥.

الخاتمة

نخلص مما تقدم أن القرآن الكريم كتاب اشتمل على المعرفة كلها، بما لا يسع العقل الإنساني تجاهله، فكل ما يريد العقل الإنساني بحثه يجده في القرآن الكريم. ولذلك نستكشف بسهولة، ومن الوهلة الأولى أن القرآن الكريم يشتمل على كل ما نريد أن نعرفه عن الله سبحانه وعن أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وعن الغيبيات، والطبيعة، والكون، والإنسان، والتاريخ، والمستقبل، وعالم الوجود، وغير ذلك. ومن هنا يكون الكتاب الكريم المصدر الأول للحكماء المسلمين في البحث عن المفاهيم التي تعترض بحثهم والإشكاليات التي تواجههم.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ): "العجاب في بيان الأسباب"، تحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
- ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): "الجامع الكبير - سنن الترمذي"، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م.
- حسين، رواء محمود حسين: " أرض الله الواسعة .. تأملات في الآية (٥٦) من سورة العنكبوت"، نشر في موقع الألوكة، بتاريخ ١٤٣٥/٩/٣ هجري - ٢٠١٤/٦/٣٠ ميلادي، على الرابط الآتي: http://www.alukah.net/sharia/0/72832/ .
- _____: " حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم"، نشرت أيضاً في موقع الألوكة بتاريخ: ١٤٣٥/١١/١٥ هجري - ٢٠١٤/٩/٩ م، على الرابط الآتي: http://www.alukah.net/sharia/0/75741/.
- الرازي، فخر الدين (المتوفى: ٦٠٦هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- الزهري، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب (المتوفى: ١٢٤هـ): " الناسخ والمنسوخ - وتنزيل القرآن بمكة والمدينة"، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (٤١٢ هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- السيوطي: " الإكليل في استنباط التنزيل "، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.
- _____: " الإتقان في علوم القرآن "، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

- الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ): " تفسير الإمام الشافعي "، تحقيق د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م.
- الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن "، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- عبيد بن الأبرص: " ديوان عبيد بن الأبرص"، بشرح أشرف أحمد عدرة، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤ هـ — ١٩٩٤ م.
- العقاد، عباس محمود: " الفلسفة القرآنية: كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والإجتماعية التي وردت موضوعاتها في آيات القرآن الكريم"، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.
- قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (المتوفى: ١١٧هـ): " الناسخ والمنسوخ"، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ): " الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي "، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية — القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
- المودودي، أبو الأعلى: " الإنسان في مواجهة التحديات المعاصرة"، تعريب خليل أحمد الحامدي، ط٤، دار القلم، الكويت، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠م.
- نافع ابن الأزرق: " مسائل نافع ابن الأزرق عن عبد الله بن عباس"، من طريقين: رواية أبي بكر أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم الختلي (ت ٣٦٥ هـ)، ورواية أبي طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف (ت ٤٤٢ هـ)، حققها وعلق عليها ووضع فهارسها وذيلها ب(ذيل مسائل نافع) التي لم ترد في هذه الرواية الدكتور محمد أحمد الدالي، ط١، الجفان والجابي، قبرص، ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م.
- يحيى بن سلام (المتوفى: ٢٠٠هـ): " تفسير يحيى بن سلام"، تحقيق الدكتورة هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

الحكمة الرابعة

القرآن والتوحيد

مدخل إلى التفسير التوحيدي

للقرآن الكريم

نشر في الألوكة تاريخ الإضافة 29/11/2015 :ميلادي - ١٤٣٧/٢/١٦ هجري
رابط الموضوع http://www.alukah.net/library/0/95227/#ixzz4reEUuncz :

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

تأملت شيئاً عجيباً في القرآن الكريم واستقر الرأي، واطمأن القلب لبيانه وهو كالآتي:

جوهر رسالة القرآن الكريم التوحيد. يتجلى هذا المنهج في التعبير عن وحدانية الله سبحانه وربوبيته وألوهيته وفي الدعوة إلى الله تعالى، إلى محبة الله سبحانه وتوحيده، وإفراده بالعبودية، والاستقامة على طريقه، ولكن الشيطان يريد أن يصرف الناس عن هذا الطريق حسداً وغيرة وكيداً.

ولو استقرأنا القرآن الكريم من أوله إلى آخره، أي من سورة الفاتحة إلى سورة الناس لوجدنا أن قضية القرآن الرئيسية التوحيد، ومن هذا المفهوم، أي التوحيد، تتفرع باقي المفاهيم القرآنية حول خلق آدم، وغواية إبليس، والكتب المنزلة، والأنبياء والقصص والأحكام وغيرها، في تصوري، والله اعلم.

وبالتالي، فالتوحيد في القرآن هو الرابط والمنسّق العام لسياق سور وآيات القرآن الكريم كلها وبدون استثناء. ومن غير فهم هذه المبدأ والمنهاج العام لا يمكن، في تصوري، اكتشاف حلقة الوصل الرئيسة التي تربط سور القرآن وآياته ببعضها البعض.

بمعنى آخر: نحن نقول ونؤمن أن القرآن كلام الله سبحانه وكتابه، ومن ثم، فالهدف الرئيسي للقران الكريم هو تعريف الناس بالله سبحانه، وشرح توحيده وألوهيته وربوبيته لهم. وهذا المفهوم يرافق القرآن الكريم في كل صفحاته وسوره وآياته، ومن ثم، فلا يمكن فهم كل القران، من أمثال، وقصص، وأحكام، ومواعظ، وغيبيات، وغيرها بدون إحكام فهم قضية القرآن الرئيسة: التوحيد.

ولذلك أحببت أن أبين في هذا البحث الخلاصة الرئيسية للتأمل الحالي في الخطاب القرآني للوصول إلى توضيح جوهر رسالة القرآن الكريم، وليكون هذا البحث المدخل الثاني إلى (تفسير الحكمة القرآنية) بعد أن قدمنا فيما سبق المدخل الأول إليه بعنوان: " التبيان في شمولية المعرفة القرآنية" [١٠١] وما توفيقي إلا بالله سبحانه.

أ. د. رواء محمود حسين

٨/ صفر / ١٤٣٧ هـ

٢٠ / ١١ / ٢٠١٥ م

[١٠١] ينظر: د. رواء محمود حسين: "التبيان في شمولية المعرفة القرآنية"، الألوكة، ١٤٣٦/٥/١٧ هجري، 8/3/2015 :ميلادي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التوحيد منهاج القرآن الأعظم وسياقه الأكبر:

قال تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص : ١ – ٤].

يقول القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) أَيِ الْوَاحِدُ الْوِتْرُ، الَّذِي لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ وَلَا صَاحِبَةَ، وَلَا وَلَدَ وَلَا شَرِيكَ. (اللَّهُ الصَّمَدُ) أَيِ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَاجَاتِ. كَذَا رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَاجَاتِ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ الْمُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَالْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: إِنَّهُ: الْمَقْصُودُ فِي الرَّغَائِبِ، وَالْمُسْتَعَانُ بِهِ فِي الْمَصَائِبِ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. وَالصَّمَدُ: الَّذِي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شي يولد إلا سيموت، وليس شي يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد. قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عدل، وليس كمثله شي.[١٠٢]

وقال سبحانه: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور : ٣٥].

نقل ابن كثير: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: { اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ } يَقُولُ هَادِي أَهْلِ السموات والأرض. عَالِيَةَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فِي قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ قَالَ هُوَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ وَالقرآن فِي صَدْرِهِ فَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلَهُ فَقَالَ اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فَبَدَأَ بِنُورِ نَفْسِهِ ثُمَّ ذَكَرَ نُورَ الْمُؤْمِنُ فَقَالَ: مَثَلُ نُورِ مَنْ آمَنَ بِهِ، قَالَ: فَكَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَقْرَؤُهَا مَثَلُ نُورِ مَنْ آمَنَ بِهِ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ جُعِلَ الْإِيمَانُ وَالقرآن فِي صَدْرِهِ، وَهَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَهَا كَذَلِكَ مثل نُورِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ اللَّهُ نَوَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَعَنِ الضَّحَّاكِ اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ. والْمِشْكَاةَ هو مَوْضِعُ الْفَتِيلَةِ مِنَ الْقِنْدِيلِ وَلِهَذَا قَالَ فِيها مِصْباحٌ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي فِي الذُّبَالَةِ. قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: الْمِصْبَاحُ النُّورُ وَهُوَ القرآن وَالْإِيمَانُ الَّذِي فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ السِّرَاجُ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ أَيْ هَذَا الضَّوْءُ مشرق في زجاجة صافية، وقال أُبَيُّ بْنُ

[١٠٢] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): " الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ٢٠ / ٢٤٤، ٢٤٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كَعْبٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: وَهِيَ نَظِيرُ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الزُّجاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ قَرَأَ بَعْضُهُمْ بِضَمِّ الدَّالِ مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ مِنَ الدُّرِّ أَيْ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ مِنْ دُرٍّ. قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: كَوْكَبٌ مُضِيءٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: مُضِيءٌ مُبِينٌ ضَخْمٌ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ أَيْ يَسْتَمِدُّ مِنْ زَيْتِ زَيْتُونِ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ بَدَلٌ أَوْ عَطْفُ بَيَانٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ أَيْ لَيْسَتْ فِي شَرْقِيٍّ بُقْعَتِهَا فَلَا تَصِلُ إِلَيْهَا الشَّمْسُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ وَلَا فِي غَرْبِيِّهَا فيقلص عَنْهَا الْفَيْءُ قَبْلَ الْغُرُوبِ بَلْ هِيَ فِي مَكَانٍ وَسَطٍ تَفْرَعُهُ الشَّمْسُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إلى آخره فيجيء زيتها صافيا معتدلا مشرقا. عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ قال: هي شجرة بالصحراء لا يظلها شجر ولا جبل وَلَا كَهْفٌ وَلَا يُوَارِيهَا شَيْءٌ وَهُوَ أَجْوَدُ لِزَيْتِهَا. [١٠٣]

ويضيف ابن كثير: { يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ } قَالَ هُوَ أَجْوَدُ الزَّيْتِ، قَالَ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَصَابَتْهَا مِنْ صَوْبِ الْمَشْرِقِ فَإِذَا أَخَذَتْ فِي الْغُرُوبِ أَصَابَتْهَا الشَّمْسُ، فَالشَّمْسُ تُصِيبُهَا بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَتِلْكَ لَا تُعَدُّ شَرْقِيَّةً وَلَا غَرْبِيَّةً. دُونَ الْمَشْرِقِ وَلَكِنَّهَا عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ أَوْ فِي صَحْرَاءَ تُصِيبُهَا الشَّمْسُ النَّهَارَ كُلَّهُ. وَقِيلَ المراد بقوله تعالى: { لَا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ } أَنَّهَا فِي وَسَطِ الشجر ليست بَادِيَةً لِلْمَشْرِقِ وَلَا لِلْمَغْرِبِ. وقوله تعالى: { نُورٌ عَلى نُورٍ } قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَعْنِي بِذَلِكَ إِيمَانَ الْعَبْدِ وَعَمَلَهُ. وقوله تعالى: { يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ } أَيْ يُرْشِدُ اللَّهُ إِلَى هِدَايَتِهِ مَنْ يَخْتَارُهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى هَذَا مَثَلًا لِنُورِ هُدَاهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ { وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }. أَيْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْإِضْلَالَ.

وقال تعالى داعياً الناس إلى عبادته: { يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾} (البقرة: ٢١ – ٢٤). [١٠٤]

فالله سبحانه يخاطب المنافقين والكافرين في هذه الآيات لتوحيده وعبادته، وأن لا يشركوا به غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وهم يعلمون أنه لا رب لهم غيره، وقد علموا أن ما يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

[١٠٣] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت– ١٤١٩ هـ، ٦ / ٥٣ – ٥٤.

[١٠٤] ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، ٦/ ٥٤ – ٥٦.

هو الحق من عند الله، ومن ثم فيجب عليهم أن يجعلوا لله أنداداً، وهو الشرك الخفي، وهو خْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ وَحَيَاتِي، وَيَقُولُ: لَوْلَا كَلْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ البارحة، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانَ، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ. وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا صليتم فلا تلتفوا، وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أطيب عند الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ، وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا. [١٠٥]

وقال سبحانه آمراً بإفراده بالعبادة: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾} (النساء :٣٦).

يشير الرازي أن في هذه الآية أنواعاً عدة: الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ }. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَعْنَى وَحِّدُوهُ، والْعِبَادَةَ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ وَتَرْكٍ يُؤْتَى بِهِ لِمُجَرَّدِ أَمْرِ اللَّه تَعَالَى بِذَلِكَ، وَهَذَا يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَجَمِيعُ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ. النَّوْعُ الثَّانِي: قَوْلُهُ: { وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً } وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَ بِالْعِبَادَةِ بِقَوْلِهِ: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ } أَمَرَ بِالْإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ بِقَوْلِهِ: { وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً } لِأَنَّ مَنْ عَبَدَ مَعَ اللَّه غَيْرَهُ كَانَ مُشْرِكًا وَلَا يَكُونُ مُخْلِصًا. النَّوْعُ الثَّالِثُ: قَوْلُهُ: { وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً }، أي احسنوا بالوالدين إحساناً، وذلك لأن الله سبحانه قرن بين بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ. والْإِحْسَانَ إِلَى الْوَالِدَيْنِ هُوَ أَنْ يَقُومَ بِخِدْمَتِهِمَا، وَأَلَّا يَرْفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِمَا، وَلَا يَخْشُنَ فِي الْكَلَامِ مَعَهُمَا، وَيَسْعَى فِي تَحْصِيلِ مَطَالِبِهِمَا وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا بِقَدْرِ الْقُدْرَةِ مِنَ الْبِرِّ، وَأَنْ لَا يُشْهِرَ عَلَيْهِمَا سِلَاحًا، وَلَا يَقْتُلَهُمَا. النَّوْعُ الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: وَبِذِي الْقُرْبى وَهُوَ أَمْرٌ. النَّوْعُ الْخَامِسُ: قَوْلُهُ: وَالْيَتامى وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَتِيمَ مَخْصُوصٌ بِنَوْعَيْنِ مِنَ الْعَجْزِ: أَحَدُهُمَا: الصِّغَرُ، وَالثَّانِي: عَدَمُ الْمُنْفِقِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ هَذَا حَالُهُ كَانَ فِي غَايَةِ الْعَجْزِ وَاسْتِحْقَاقِ الرَّحْمَةِ. النَّوْعُ السَّادِسُ: قَوْلُهُ: وَالْمَساكِينِ وَاعْلَمْ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ عَدِيمَ الْمَالِ إِلَّا أَنَّهُ لِكِبَرِهِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْرِضَ حَالَ نَفْسِهِ عَلَى الْغَيْرِ، فَيَجْلِبُ بِهِ نَفْعًا أَوْ يَدْفَعُ بِهِ ضَرَرًا، وَأَمَّا الْيَتِيمُ فَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ. النَّوْعُ السَّابِعُ: قَوْلُهُ: وَالْجارِ ذِي الْقُرْبى قِيلَ: هُوَ الَّذِي قَرُبَ جِوَارُهُ، وَالْجَارُ الْجُنُبُ هُوَ الَّذِي بَعُدَ

[١٠٥] ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، ١/ ١٠٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جِوَارُهُ. النَّوْعُ الثَّامِنُ: قَوْلُهُ: وَالْجارِ الْجُنُبِ. النَّوْعُ التَّاسِعُ: قَوْلُهُ: وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَهُوَ الَّذِي صَحِبَكَ بِأَنْ حَصَلَ بِجَنْبِكَ إِمَّا رَفِيقًا فِي/ سَفَرٍ، وَإِمَّا جَارًا مُلَاصِقًا، وَإِمَّا شَرِيكًا فِي تَعَلُّمٍ أَوْ حِرْفَةٍ، وَإِمَّا قَاعِدًا إِلَى جَنْبِكَ فِي مَجْلِسٍ أَوْ مَسْجِدٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، مِنْ أَدْنَى صُحْبَةٍ الْتَأَمَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ. النَّوْعُ الْعَاشِرُ: قَوْلُهُ: وَابْنِ السَّبِيلِ وَهُوَ الْمُسَافِرُ الَّذِي انْقَطَعَ عَنْ بَلَده. النَّوْعُ الْحَادِي عَشَرَ: قَوْلُهُ: وما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِحْسَانَ إِلَى الْمَمَالِيكِ طَاعَةٌ عَظِيمَةٌ.[١٠٦]

آية الكرسي:

ولذلك فالآية الأعظم في كتاب الله سبحانه، والتعبير فيها عن التوحيد قد بلغ غايته القصوى وبلاغته العظمى، وهي سر القرآن الأعظم وجوهره المكنون ودره المنضد. هي بالنسبة للقرآن بمثابة الشمس في الكون، وإذا كانت الشمس في الكون تمنح الضياء والجاذبية للأجرام والأفلاك، فآية الكرسي تشع بنور التوحيد وضيائه، ومن ثم لترتبط كل الآيات والسور بسياق واحد الا وهو منهاج التوحيد.

قال مقاتل بن سليمان في تفسير آية الكرسي : " { اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَي ُّ} الَّذِي لا يموت، { الْقَيُّومُ } القائم عَلَى كُلّ نفس { لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ } يعني ريح من قبل الرأس، فيغشى العينين، وَهُوَ وسنان بين النائم واليقظان. ثُمّ قَالَ- جلّ ثناؤُهُ: { لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ } من الخلق عبيده وَفِي ملكه الملائكة وعزير وعيسى ابْن مريم وغيره مِمَّنْ يعبد { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ } من الملائكة إِلَّا بِإِذْنِهِ يَقُولُ إِلَّا بأمره وذلك قوله- سُبْحَانَهُ- { وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى } { يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ } يقول ما كان قبل خلق الملائكة، وما كان بعد خلقهم. ثُمّ قَالَ: { وَلا يُحِيطُونَ } يعني الملائكة { بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ } الرب فيعلمهم ثم أخبر عن عظمة الرب- جل جلاله- فقال- سبحانه-: { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْض } كلها. كل قائمة للكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع تحت الكرسي فى الصغر كحلقة بأرض فلاة. ثم أخبر عن قدرته فقال- عز وجل-: {.وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما } يَقُولُ وَلا يثقل عَلَيْه وَلا يجهده حملهما { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ - } الرفيع فوق كُلّ خلقه العظيم فلا أعظم منه شيءً. " [١٠٧]

---

[١٠٦] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت،- ١٤٢٠ هـ، ١٠ / ٧٥ – ٧٨.

[١٠٧] أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ): "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق عبد الله محمود شحات، ط١، دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٣ هـ،١/ ٢١٢- ٢١٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتوسع الطبري بشكل مذهل في تفسير آية الكرسي، فأشار: قوله تعالى: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}، قال الطبري: وأما تأويل قول الله تعالى ذكره "الله"،فإنه كما رُوي عن عبد الله بن عباس: "هو الذي يَأْلَه كل شيء، ويعبده كل خلْقٍ " وروى الطبري بسنده إلى ابن عباس أنه قال: "الله" ذو الألوهية والمِعْبودية على خلقه أجمعين." وأما تأويل قوله: "لا إله إلا هو" فإن معناه: النهي عن أن يعبد شيء غير الله الحي القيوم الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية. يقول:"الله" الذي له عبادة الخلق="الحي القيوم"، لا إله سواه، لا معبود سواه، يعني: ولا تعبدوا شيئا سوى الحي القيوم الذي لا يأخذه سِنة ولا نوم، والذي صفته ما وصف في هذه الآية. وأما قوله:"الحي" فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً .ومعنى قوله:"القيوم"، القائم برزق ما خلق وحفظه، ومعنى قوله تعالى: {لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ} يعني تعالى ذكره بقوله:"لا تأخذه سنة"، لا يأخذه نعاس فينعس، ولا نوم فيستثقل نوماً. و قوله تعالى: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ} يعني تعالى ذكره بقوله:"له ما في السموات وما في الأرض" أنه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد، وخالق جميعه دون كل آلهة ومعبود. وإنما يعنى بذلك أنه لا تنبغي العبادة لشيء سواه، لأن المملوك إنما هو طوع يد مالكه، وليس له خدمة غيره إلا بأمره. يقول: فجميع ما في السموات والأرض ملكي وخلقي، فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه، لأنه لا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكه، ولا يطيع سوى مولاه. [١٠٨]

وأما قوله: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" يعني بذلك: من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم، إلا أن يخليه، ويأذن له بالشفاعة لهم. وإنما قال ذلك تعالى ذكره لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى! فقال الله سبحانه لهم: لي ما في السموات وما في الأرض مع السموات والأرض ملكا، فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تقربكم مني زلفى، فلا ينبغي العبادة لغيري، فإنها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيئا، ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له، من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي. و قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ} يعني تعالى ذكره بذلك أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علما، لا يخفى عليه شيء منه. أما قوله: "ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء"، فإنه يعني تعالى ذكره: أنه العالم الذي لا يخفي عليه شيء محيط بذلك كله، مخص له دون سائر من دونه= وأنه لا يعلم أحد سواه شيئا إلا بما شاء هو أن يعلمه، فأراد فعلمه، وإنما يعني بذلك: أن العبادة لا

[١٠٨] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١/ ١٢٢ – ١٢٣، ٥/٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩.

تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلا فكيف يعبد من لا يعقل شيئا البتة من وثن وصنم؟! يقول: أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها، يعلمها، لا يخفي عليه صغيرها وكبيرها. القول في تأويل قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ}. قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علما، لا يخفى عليه شيء منه. وأما قوله:"ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء"، فإنه يعني تعالى ذكره: أنه العالم الذي لا يخفي عليه شيء محيط بذلك كله، محص له دون سائر من دونه وأنه لا يعلم أحد سواه شيئا إلا بما شاء هو أن يعلمه، فأراد فعلمه، وإنما يعني بذلك: أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلا فكيف يعبد من لا يعقل شيئا البتة من وثن وصنم؟! يقول: أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها، يعلمها، لا يخفي عليه صغيرها وكبيرها. حدثني عن عمار، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: "وسع كرسيه السموات والأرض"، قال: لما نزلت: "وسع كرسيه السموات والأرض" قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هذا الكرسي وسع السموات والأرض، فكيف العرش؟ فأنزل الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) إلى قوله: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر: ٦٧]. [١٠٩]

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». [١١٠]

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ

[١٠٩] تفسير الطبري، ٥ / ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٩.

[١١٠] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ، ١ / ٥٥٦ ، حديث (٢٥٨).

عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ – وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ – فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ». [١١١]

الأنبياء والدعوة لتوحيد الله سبحانه:

يذكر لنا القرآن ان رسالة الأنبياء جميعاً كانت في الدعوة إلى عبادة الله سبحانه كما جاء في قوله تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }. ﴿النحل: ٣٦﴾. وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ﴿الحج: ٧٧﴾. [١١٢]

ويقدم القرآن الكريم أمثلة على ذلك، وكما يأتي:

[١١١] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ، ٣ / ١٠١، حديث رقم (٢٣١١).

[١١٢] أنظر: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ): " تفسير يحيى بن سلام"، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، ١/ ٦٣، ٣٩٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نوح عليه السلام:

دعى نوح عليه السلام قومه لعبادة الله سبحانه، فقال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} ﴿الأعراف: ٥٩﴾. وقال سبحانه: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ } ﴿المؤمنون: ٢٣﴾. [١١٣]

وقال تعالى في سورة نوح: { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ } [سورة نوح: ١ – ٤]. [١١٤]

٢– هود عليه السلام:

ودعى هود عليه السلام قومه لعبادة الله سبحانه فقال تعالى: {وَ إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ } ﴿الأعراف: ٦٥﴾. وقال سبحانه: { وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ } ﴿هود: ٥٠﴾. [١١٥]

صالح عليه السلام:

ودعى صالح عليه السلام قومه لعبادة الله سبحانه، فقال تعالى: { وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ﴿الأعراف: ٧٣﴾. { وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم

---

[١١٣] أنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): " النكت والعيون"، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ٢/ ٢٣٢ وما بعد، ٤ / ٥١ وما بعد.

[١١٤] أنظر: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ): " التَّفْسِيرُ البَسِيْط"، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ك١، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠ هـ، ٢٢ / ٢٤٣ وما بعد.

[١١٥] أنظر: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ): " تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم"، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ، ٦ / ١٩٩٤، ٦ / ٢٠٤٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ } ﴿هود: ٦١﴾. [١١٦]

شعيب عليه السلام:

ودعى شعيب عليه السلام قومه لعبادة الله سبحانه: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } ﴿الأعراف: ٨٥﴾. وقال سبحانه: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ } ﴿هود: ٨٤﴾. [١١٧]

إبراهيم عليه السلام:

ودعى إبراهيم عليه السلام قومه لعبادة الله: { وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } ﴿العنكبوت: ١٦﴾. [١١٨]

ولذلك اهتم المسلمون ببيان مفهوم الإيمان بشكل كبير. فبين ابن تيمية أن الخالق سبحانه مختص " بِالْعِبَادَةِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ: فَلَا يُعْمَلُ إلَّا لَهُ، وَلَا يُرْجَى إلَّا هُوَ، هُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي ابْتَدَأَكَ بِخَلْقِك وَالْإِنْعَامِ عَلَيْك بِنَفْسِ قُدْرَتِهِ عَلَيْك وَمَشِيئَتِهِ وَرَحْمَتِهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مِنْك أَصْلًا؛ وَمَا فَعَلَ بِك لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ. ثُمَّ إذَا احْتَجْت إلَيْهِ فِي جَلْبِ رِزْقٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ: فَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِالرِّزْقِ لَا يَأْتِي بِهِ غَيْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي يَدْفَعُ الضَّرَرَ لَا يَدْفَعُهُ غَيْرُهُ . كَمَا قَالَ تَعَالَى: { أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} [الملك : ٢٠]، {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} [الملك : ٢١] . وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُنْعِمُ عَلَيْك، وَيُحْسِنُ إلَيْك بِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُوجِبُ مَا تَسَمَّى بِهِ، وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ؛ إذْ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ؛ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ؛

---

[١١٦] أنظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ): " تفسير القرآن العزيز"، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، ط١، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ٢ / ١٣١، ٢ / ٢٩٤،

[١١٧] أنظر: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ): " الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م، ٤ / ٢٦٠ – ٢٦١، ٥ / ١٨٥ وما بعد،

[١١٨] نفسه، ٧ / ٢٧٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَهُوَ قَادِرٌ بِنَفْسِهِ، وَقُدْرَتُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَكَذَلِكَ رَحْمَتُهُ وَعِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ: لَا يَحْتَاجُ إِلَى خَلْقِهِ بِوَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ؛ بَلْ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ الْعَالَمِينَ {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل : ٤٠]، {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [أبراهيم: ٧]، {وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} [أبراهيم: ٨]. [١١٩]

وأشار الجرجاني أنه قد نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: { الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق}. قال الجرجاني: وهذه الشهادة فرض تجمع الاعتقاد بالقلب والاعتراف باللسان. فالاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان عملان يعملان بجارحتين، إلا أن نوع العمل واحد، فالمنسوب إلى اللسان هو المنسوب إلى القلب، والمنسوب إلى القلب منه هو المنسوب إلى اللسان. والاعتقاد والإقرار وإن كانا عملين يعملان بجارحتين مختلفتين فإن نوع العمل واحد، وما مثلها إلى مثل من قال شيئا وكتبه، فإنه وإن عمل عملين بجارحتين مختلفتين فإن نوع العمل واحد، وهو الإبانة عما حصل مبينا باليد واللسان من قرآن أو شعر أو حديث أو مثل أو قصص أو ما كان من أصناف الكلام أو مثل من مد يديه ورجله إلى شيء فحركه، فإنه وإن كان عم عملين بجارحتين مختلفين، فإن نوع العمل واحد وهو تحريك شيء بعينه. . [١٢٠]

الصراط المستقيم:

فالقرآن يذكر بوضوح شديد أن الله سبحانه يريد للناس أن يكونوا على صراط المستقيم، كما جاء الآيات المباركات الآتيات: فمثلاً يأمرنا الله سبحانه باتباع صراطه المستقيم، قال تعالى: { وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } ﴿الأنعام: ١٥٣﴾. [١٢١]

---

[١١٩] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ): " مجموع الفتاوى "، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ١ / ٣٧.

[١٢٠] الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي (المتوفى: ٤٠٣ هـ): " المنهاج في شعب الإيمان"، تحقيق حلمي محمد فودة، ط١، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ص ١٨٣.

[١٢١] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ): " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ١ / ١٣٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد علمنا الله سبحانه أن ندعوه ليهدينا إلى صراطه المستقيم، كما في قوله تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } ﴿الفاتحة: ٦﴾. قال الطبري في تفسيرها: "بين لنا فرائضك وحدودك".[١٢٢]

وذكر الله سبحانه أنه هو من يهدي إلى صراطه المستقيم، قال تعالى:{ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } ﴿البقرة: ١٤٢﴾.

وعلى الرغم من اختلاف الناس لكن الله سبحانه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿البقرة: ٢١٣﴾. وقرن الله سبحانه بين عبادته وصراطه المستقيم فقال سبحانه: { إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ } ﴿آل عمران: ٥١﴾. [١٢٣]

وبين القرآن أن الذي يعتصم بالله سبحانه فقد هدي إلى صراط مستقيم: { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } ﴿آل عمران: ١٠١﴾. وكذلك يفعل الله سبحانه بالذين أمنوا به، قال تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا } ﴿النساء: ١٧٥﴾، والذين اتبعوا رضوان الله، قال تعالى: { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }. ﴿المائدة: ١٦﴾. [١٢٤]

وبالتالي فإن الإنسان قد منحه الله سبحانه قابلية الأختيار أما لصراط الله سبحانه أو لطريق الشيطان وغواياته وهذا المعنى واضح جداً في قوله تعالى: { هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا

---

[١٢٢] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١ / ١٦٨.

[١٢٣] أنظر: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ): " الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ١ / ٢٢٤، ١/ ٣١٥، ١، ٤٣٧.

[١٢٤] نفسه، ١ / ٤٧١، ٢ / ١٤٥، ٢ / ١٦٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ } [الإنسان: ١ – ٣]. [١٢٥]

ماذا تعني وساوس الشيطان؟

وبين القرآن الكريم أن من الناس من هو مع الله سبحانه ومن هو مع الشيطان، فالذين هم مع الشيطان قد ذكرهم الله سبحانه بالأوصاف الآتية في قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾} (المجادلة: ١٤ – ٢١}. [١٢٦]

أما الذين هم مع الله فقد قال الله فيهم: { لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾} (المجادلة: ٢٢). [١٢٧]

ويقدم الله سبحانه مزيداً من الفروق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } ﴿آل عمران: ١٥٥﴾.

---

[١٢٥] أنظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ): " درْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر"، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، ط١، مجلة الحكمة، بريطانيا، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ٤ / ١٦٨٣.

[١٢٦] محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ): " معالم التنزيل في تفسير القرآن "، المعروف ب (تفسير البغوي)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، ٨/ ٦١ وما بعد.

[١٢٧] نفسه، ٨/ ٦٢ وما بعد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقوله سبحانه: { إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } ﴿آل عمران: ١٧٥﴾. وقوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا } ﴿النساء: ٣٨﴾. وقوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُالشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } ﴿النساء: ٦٠﴾.[١٢٨]

والقرآن الكريم قد بين بشكل واضح جداً أن من الناس الذين خلقهم الله سبحانه ابتداءاً من آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة من كان مع الله سبحانه ومنهم من اختار أن يكون مع الشيطان. ولمزيد من الاستدلال فقد نهانا الله سبحانه أن نتبع خطوات الشيطان، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾} (البقرة: ١٦٨). وأمرنا سبحانه أن ندخل في السلم كافة: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ } (البقرة: ٢٠٨). وبين تعالى أن الشيطان يستخدم طريق التخويف مع أوليائه: { إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿١٧٥﴾} (ال عمران: ١٧٥). [١٢٩]

لا بد أن مكائد الشيطان قديمة فقد فعل فعلته مع أبوينا آدم وحواء: { فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ } ﴿البقرة: ٣٦﴾. ولذلك أمرنا الله سبحانه أن نأكل من طيبات الأرض وحلالها، وأن لا نتبع خطوات الشيطان، فقال: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } ﴿البقرة: ١٦٨﴾. وقوله جل شأنه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } ﴿البقرة: ٢٠٨﴾. و الفرق واضح في القرآن بين وعد الله (بالمغفرة والفضل) ووعد الشيطان (بالفقر)، كما في قوله تعالى: { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } ﴿البقرة: ٢٦٨﴾. ولذلك انتبه الصالحون من عباد الله إلى ضرورة التحرز من الشيطان وتحصين أبنائهم منه، كما جاء

[١٢٨] أنظر: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) "تفسير القرآن"، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، دار الوطن، الرياض – السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ١/ ٣٧٠، ١/ ٤٢٨، ١/ ٤٤١.

[١٢٩] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ط٣، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١/ ٢١٢، ١/ ٢٥١ وما بعد، ١/ ٤٤٢ وما بعد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على لسان إمرآة عمران: { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } ﴿آل عمران: ٣٦﴾. [١٣٠]

إذاً هذا طريق الشيطان، كما يبينه القرآن الكريم، فهو غرور، كما قال تعالى: { يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا } ﴿النساء: ١٢٠﴾. ومن وسائل سلوك هذا الطريق ما بينه الله سبحانه في قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ﴿المائدة: ٩٠﴾. وقوله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ } ﴿المائدة: ٩١﴾. [١٣١]

ويستخدم الشيطان التزيين للإضلال، قال تعالى: { فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ﴿الأنعام: ٤٣﴾. أو يدعو الناس إلى الخوض في آيات الله: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } ﴿الأنعام: ٦٨﴾. وله خطوات أيضاً: { وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } ﴿الأنعام: ١٤٢﴾. [١٣٢]

---

[١٣٠] أنظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ): "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢ هـ، ١/ ١٢٦، ١/ ٢٣٦ وما بعد، ١/ ٢٧٨ وما بعد، ١/ ٣٦٣ وما بعد، ١/ ٤٢٤.

[١٣١] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ): " زاد المسير في علم التفسير"، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت- ١٤٢٢ هـ، ١/ ٤٧٥، ١/ ١٨٤ وما بعد،

[١٣٢] تفسير القرطبي، ٦ / ٤٢٥، ٧/ ١٢ وما بعد، ٧/ ١١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الخاتمة

غاية هذا البحث ومقصده الرئيس أن يشير إلى أن القرآن الكريم لا يمكن أن يقرأ أو يفهم أو يفسر بعيداً عن السياق الرئيس والمقصد الأعظم له، الا وهو سياق التوحيد. وبدون فهم قضية القرآن الرئيسة، التوحيد، لا يمكن في تصوري، فهم القانون الكلي الذي ينبني عليه تناسق الآيات والسور القرآنية. فالتوحيد هو الغاية النهائية من قصص القرآن وأخلاقه وأمثاله ومواعظه وكل ما فيه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قائمة المصادر والمراجع

١- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: ٥١٠هـ): " معالم التنزيل في تفسير القرآن "، المعروف ب (تفسير البغوي)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ): " مجموع الفتاوى "، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣- _____: " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ): " الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٥- الجرجاني، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري ، أبو عبد الله الحَلِيمي (المتوفى: ٤٠٣ هـ): " المنهاج في شعب الإيمان"، تحقيق حلمي محمد فودة، ط١، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٦- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الدار (المتوفى: ٤٧١هـ): " درْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر"، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، ط١، مجلة الحكمة، بريطانيا، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٧- ابن جرير، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٨- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ): " زاد المسير في علم التفسير"، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي - بيروت- ١٤٢٢ هـ.

٩- إبن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ): " تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم"، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠- حسين، د. رواء محمود: "التبيان في شمولية المعرفة القرآنية"، الألوكة، ١٤٣٦/٥/١٧ هجري، 8/3/2015 :ميلادي.

١١- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت،- ١٤٢٠ هـ .

١٢- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ط٣، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

١٣- ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ): " تفسير القرآن العزيز"، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، ط١، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١٤- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) "تفسير القرآن"، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، دار الوطن، الرياض – السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٥- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٦- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ): "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢ هـ.

١٧- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ): " الجامع لأحكام القرآن "، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١٨- أبن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت- ١٤١٩ هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٩- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (المتوفى: ٤٥٠هـ): " النكت والعيون"، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، بدون تاريخ.

٢٠- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

٢١- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

٢٢- مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ): "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق عبد الله محمود شحات، ط١، دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٣ هـ.

٢٣- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ): " التَّفْسِيرُ البَسِيْط"، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ك١، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠ هـ.

٢٤- " الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٥- يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ): " تفسير يحيى بن سلام"، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-٢٦

الفهرس

المقدمة..... ٦٨
التوحيد منهاج القرآن الأعظم وسياقه الأكبر: ٧٠
آية الكرسي: ٧٣
الأنبياء والدعوة لتوحيد الله سبحانه: ٧٦
نوح عليه السلام: ٧٧
٢- هود عليه السلام:..... ٧٧
صالح عليه السلام:..... ٧٧
شعيب عليه السلام: ٧٨
إبراهيم عليه السلام: ٧٨
الصراط المستقيم: ٧٩
ماذا تعني وساوس الشيطان؟ ٨١
الخاتمة..... ٨٤
قائمة المصادر والمراجع..... ٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الخامسة

الملكوت في الحكمة القرآنية(1)

حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر

نشر في الألوكة، تاريخ الإضافة: ٢٠١٥/٤/٢٧ ميلادي - ١٤٣٦/٧/٨ هجري
على الرابط الآتي:
/http://www.alukah.net/sharia/0/85729

ورد مصطلح: (ملكوت) في القرآن الكريم في أربعةِ مواضع: (الأنعام: ٧٥)، (الأعراف: ١٨٥)، (المؤمنون: ٨٨)، و(يس: ٨٣) [١].

وسيبدأ هذا البحث في دراسة ﴿ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٧٥] في الحكمة القرآنيَّة، بالتحديد في سورة (الأنعام: ٧٥)، وسنتابع دراسة المفهوم الملكوتي في القرآن الكريم في هذه السورة وفي السوَر الأخرى من القرآن الكريم على شكل سلسلة مقالات متلاحقة إن شاء الله، وهذه الدراسات المتسلسلة عن ﴿ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ جزءٌ من تفسيرنا للقرآن الكريم المسمَّى: "تفسير الحكمة القرآنية".

﴿ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: الوارد في سورة الأنعام يَرد في سياق حديثِ إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٧٤]؛ بيَّن الطبري أن الله تعالى في هذه الآية يقول لنبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمدُ لحِجَاجِك مع قومِك، وخصومتك إيَّاهم في آلهتهم، مما نلقيه إليك ونعلِّمك من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومُك مقيمون، وصحة ما أنت عليه مقيمٌ من الدِّين، وحقيقة ما أنت عليهم به محتج - بحِجَاج إبراهيم قومَه، ومراجعته إياهم في باطل ما كانوا عليه مقيمين مِن عِبادة الأوثان، وانقطاعه إلى الله والرضا به وليًّا وناصرًا دون الأصنام، فاتَّخِذه إمامًا واقتدِ به، واجعل سيرتَه في قومك لنفسك مثالاً إذ قال لأبيه مفارقًا لدينه، وعائبًا عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه: يا آزر[٢].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويناقش ابن كثير الاسم الحقيقي لأبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فيُورد نقلَ الضحاك عن ابنِ عبَّاس: إن اسمه ليس آزر؛ بل "تَارِحَ"، وعن ابن عباسٍ: أن المقصود بـ "آزر" الصنم، وأبو إبراهيم اسمُهُ تارحُ، وأمُّه اسمُها مثاني، وامرأتُهُ اسمُها سارة، وأُمُّ إسماعيل اسمُها هاجرُ، وهي سُرِّيَّة إبراهيم، وهكذا قال غيرُ واحدٍ من علماء النسَب: إن اسمه تارح، ومثل هذا منقول عن مُجاهد والسُّدي: آزر اسمُ صنمٍ، ويقول ابن كثير: كأنه غلب عليه اسمُ آزر؛ لخدمته ذلك الصنم، فالله أعلم، وقال ابنُ جريرٍ: وقال آخرون: هُو سبٌّ وعيبٌ بكلامهم، ومعناهُ مُعوجٌّ، ونقل هذا المعنى أيضًا عن ابن أبي حاتم: أن آزر تعني أعوج، وأنها أشدُّ كلمةٍ قالها إبراهيمُ عليه السلام، ثُم قال ابنُ جريرٍ: والصوابُ أن اسم أبيه آزر، ثُم أوردَ على نفسه قول النسَّابين أن اسمه تارح، ثُم أجاب بأنهُ قد يكونُ له اسمان، كما لكثيرٍ من الناس، أو يكون أحدُهُما لقبًا، وهذا الذي قاله جيِّدٌ قوي واللهُ أعلم[٣].

ومعنًى آخر يُستفاد من الآية المباركة المذكورة: أن أُبوَّة تارح (أو آزر) لإبراهيم عليه السلام لم تمنعه من حِوار أبيه حول طبيعة العِبادة التي يمارسها، مُعلنًا رفضه لعبادة الأوثان، وإن كان الذي يعبدها أقربَ الناس إليه، وهو أبوه، فحبُّ الله سبحانه وتوحيده وإخلاص العبودية له جلَّ شأنُه أهمُّ وأولى وأحقُّ من أيِّ شيء مخالف أو مناقض، وبهذا كان إبراهيم عليه السلام قُدوة للنبي صلى الله عليه وسلم في جِداله مع قومه بخصوص الأوثان التي يعبدونها. إن إبراهيم عليه السلام في هذه الآية وفي غيرها قدوةٌ لكلِّ من تمسَّك بالتوحيد وبالحقِّ وأعلن رفضَه للباطل، وللعبودية لغير الله سبحانه.

[١] ينظر عن مواضع الملكوت في القرآن الكريم أعلاه: محمد فؤاد عبد الباقي: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ، ص ٦٧٤.

[٢] الطبري (ت ٣١٠ هـ): "جامع البيان في تأويل آي القران"؛ تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، ١١ / ٤٦٥.

[٣] ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ): "تفسير القرآن العظيم "؛ تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ، ٣ / ٢٨٥.

الملكوت في الحكمة القرآنية(2)
الرؤية الإبراهيمية للملكوت

نشر في الألوكة بتاريخ تاريخ الإضافة: ٢٠١٥/٦/١١ ميلادي - ١٤٣٦/٨/٢٣ هجري
على الرابط الآتي: http://www.alukah.net/sharia/0/87755/

الملكوت في اللغة من الملك، كالرهبوت من الرهبة[١]، وله معنى آخر هو: "الملكوت: عالم الغيب المختص بأرواح النفوس"[٢].

وكانت نتيجة هذه العبودية الإبراهيمية الخالصة لله سبحانه أن أكرمه الله تعالى بقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥]، قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾؛ أي: مُلْكَ.

روى معناه عليٌّ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: كشف الله له عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرَضين، ويُضيف القرطبي: وقال الضحَّاك: أراه مَلَكوت السماء: ما قصَّه من الكواكب، ومِن ملكوت الأرضِ: البحارَ، والجبالَ، والأشجارَ، ونحو ذلك مما استدلَّ به.

وقال بنحوه ابن عباس، وروى ابن جريج عن القاسم عن إبراهيم النخعي قال: فرجت له السموات السبع، فنظر إليهنَّ حتى انتهى إلى العرْشِ، وفرجتْ له الأرضون فنظر إليهنَّ، ورأى مكانه في الجنة.

وقوله سبحانه: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] أريناه ذلك؛ أي: الملكوت[٣].

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾:

"أي: نُبيِّنُ له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما - أي: خلق السموات والأرض - على وحدانية الله عز وجل، في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا ربَّ سواه؛ وليتبيَّن له أنه تعالى كشف له الأمر؛ سره وعلانيته، فلم يخفَ عليه شيءٌ من أعمال الخلائق، فلما جعل يَلعن أصحاب الذنوب، قال الله: إنك لا تستطيع هذا، فرده كما كان قبل ذلك، فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عيانًا، ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده، وتحقَّقه وعرفه، وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة، والدلالات القاطعة، وليكون عالمًا وموقنًا"[٤].

أما قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ [الأنعام: ٧٦]، أي: تغشَّاه وستره ﴿ رَأَى كَوْكَبًا ﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ أي: نجمًا، ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ أي: غاب، قال محمد بن إسحاق بن يسار: "الأُفول: الذَّهَاب، وقال ابن جرير: يُقال: أفَلَ النجمُ يأفُلُ ويَأْفِل أفولاً وأفْلاً إذا غاب، قال: ﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦]، قال قتادة: علم أن ربه دائمٌ لا يزول، ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ [الأنعام: ٧٧]؛ أي: طالعًا، ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام: ٧٧، ٧٨]؛ أي: هذا المنير الطالع ربِّي؛ ﴿ هَذَا أَكْبَرُ ﴾ [الأنعام: ٧٨]؛ أي: جرمًا من النجم ومن القمر، وأكثر إضاءة، ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ ﴾ [الأنعام: ٧٨]؛ أي: غابت، ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ [الأنعام: ٧٨، ٧٩]؛ أي: أخلصتُ ديني، وأفردت عبادتي ﴿ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ٧٩]؛ أي: خلقهما وابتدعهما على غير مثال سَبَق، ﴿ حَنِيفًا ﴾ [الأنعام: ٧٩]؛ أي: في حال كوني حنيفًا؛ أي: مائلاً عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩][٥].

وانتهى إبراهيم عليه السلام إلى النتيجة الآتية: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩].

قال الطبريُّ: "وهذا خبرٌ مِن الله تعالى ذِكْرُه عن خليله إبراهيمَ عليه السلام، أنه لما تبيَّن له الحق وعرَفه، شهد شهادة الحق، وأظهر خلافَ قومِه أهلِ الباطل وأهل الشرك بالله، ولم يأخذه في الله لومةُ لائم، ولم يستوحش مِن قيل الحق والثبات عليه، مع خلافِ جميع قومه لقوله وإنكارهم إياه عليه، وقال لهم:﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٨] مع الله الذي خلقَني وخلقكم في عبادته من آلهتِكم وأصنامكم، إني وجهتُ وجهي في عبادتي إلى الذي خلَق السموات والأرض، الدائم الذي يبقى ولا يفنى، ويحيي ويميت، لا إلى الذي يفنى ولا يبقى، ويزول ولا يَدومُ، ولا يضرُّ ولا ينفع، ثم أخبرهم تعالى ذِكْره أن توجيهه وجهه لعبادته بإخلاص العبادة له، والاستقامة في ذلك لربِّه على ما يحب من التوحيد، لا على الوجه الذي يوجه له وجهه من ليس بحنيف، ولكنه به مشركٌ؛ إذ كان توجيه الوجه – على غير التَحنُّف – غيرَ نافع موجهه، بل ضاره ومهلكه، ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩] ولستُ منكم؛ أي: لستُ ممن يدين دينَكم، ويتبع ملتكم أيها المشركون"[٦].

تلفت أنظارَنا الآياتُ المباركات من سورة الأنعام المتقدمة عن ثواب التوحيد الخالص الذي كان عليه النبي إبراهيم عليه السلام، هذا التوحيد الذي أهَّلَهُ عليه السلام أن يمنحَه الله سبحانه رؤية ملكوت السموات والأرض، وهو مقام عظيم كبير، لا يتهيأ إلا لمن كان بمستوى توحيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعًا.

إذًا التوحيد هو الوسيلة لرؤية ملكوت السموات والأرض.

[١] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ): "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٤ / ١٦١.

[٢] محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ): "تاج العروس من جواهر القاموس"، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون بيانات أخرى ٨ / ٢٥٥.

[٣] أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ٧ / ٢٣ - ٢٤.

[٤] ابن كثير: " تفسير القرآن العظيم "، ٣ / ٢٥٩ - ٢٦٠.

[٥] أعلاه تفسير الآيات (٧٦ - ٧٨) عند أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (المتوفى: ٧٧٤هـ): "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ٣ / ٢٩١.

[٦] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١١ / ٤٨٧ – ٤٨٨.

الملكوت في الحكمة القرآنية (٣)
التوحيد والملكوت

نشر في الألوكة بتاريخ تاريخ الإضافة: ٢٠١٥/٧/٥ ميلادي - ١٤٣٦/٩/١٨ هجري، على الرابط الآتي:
/http://www.alukah.net/sharia/0/88879

وانتهى إبراهيم عليه السلام إلى النتيجة الآتية: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩].

في هذه المقالة الثالثة من سلسلة المقالات عن الملكوت في الحكمة القرآنية نتناولُ بالبحث ما ورد عن الملكوت في القرآن الكريم في سورَتَي الأعراف والمؤمنون إن شاء الله تعالى.

١- سورة الأعراف:

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

فسَّر الطبري الآية قائلاً: أولم ينظر هؤلاء المكذِّبون بآيات الله في ملك الله وسلطانه جل شأنه في السموات وفي الأرض، وفيما خلق جل ثناؤه من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك، ويعتبروا به، ويعلموا أن ذلك لا يكونُ إلا لمن لا نظيرَ له ولا شبيه، ومِن فعل مَن لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له، فيؤمنوا به سبحانه، ويصدِّقوا رسولَه صلى الله عليه وسلم، ويرجعوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت، فيهلكوا على كفرِهم، ويصيروا إلى عذاب الله سبحانه وعقابه الأليم؟![١].

ويقول ابن كثير في تفسير الآية الكريمة المذكورة: يقول تعالى: أولم ينظر هؤلاء المكذِّبون بآيات الله في ملكه وسلطانه في السموات والأرض، وفيما خلق من شيء فيهما، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به، ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه، فينبغي أن لا تكون العبادةُ والدين الخالص إلا له، فيؤمنوا به ويصدِّقوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وينيبوا إلى طاعته، ويتركوا الأنداد والأوثان، ويحذروا أن تكونَ آجالُهم قد اقتربت، فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذابِ الله وأليمِ عقابه؟!

وقوله: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]؛ أي: فبأي تخويفٍ وتحذيرٍ وترهيب بعد تحذيرِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وترهيبه، الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه يُصدِّقون إن لم يصدِّقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمدٌ من عند الله عز وجل؟[٢].

٢- سورة المؤمنون:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩].

يُفسِّر الطبري الآية فيقول: يقول تعالى ذكرُه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: مَن بيده خزائن كل شيء؟!

وقوله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾ مَن أراد ممن قصَدَه بسوء، ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ يقول: ولا أحدَ يمنع من أرادَه هو بسوء، فيدفع عنه عذابَه وعقابه، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ مَن ذلك صفتُه، فإنهم يقولون: إن ملكوتَ كلِّ شيء والقدرة على الأشياء كلها لله، فقل لهم يا محمدُ: ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾، يقول: فمن أيِّ وجه تُصرَفون عن التصديق بآيات الله، والإقرار بأخبارِه وأخبار رسولِه، والإيمان بأن الله القادرُ على كل ما يشاء، وعلى بَعْثِكم أحياء بعد مماتكم، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟!

وكان ابن عباس - فيما ذُكِر عنه - يقول في معنى قوله: ﴿ تُسْحَرُونَ ﴾: تكذبون.

وقد بيَّنْتُ فيما مضى السحر، وأنه تَخييل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته، فذلك معنى قوله: ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾، إنما معناه: فمن أيِّ وجه يُخيَّل إليكم الكذب حقًّا، والفاسد صحيحًا، فتصرفون عن الإقرار بالحق الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم؟![٣].

ويقول ابن كثير: يُقرِّرُ تعالى وحدانيَّتَه واستقلاله بالخلق والتصرف والملك؛ ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له؛ ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين العابدين معه غيرَه المعترفين له بالربوبية، وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية، فعبدوا غيرَه معه مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئًا، ولا يملكون شيئًا، ولا يستبدُّون بشيء، بل اعتقدوا أنهم يقرِّبونهم إليه زُلفَى، فقال: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾ [المؤمنون: ٨٤]؛ أي: مَن مالكُها الذي خلقها، ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات وسائر صنوف المخلوقات ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤]؟ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّه ﴾ [المؤمنون: ٨٥]؛ أي: فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك، قل: ﴿

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٥] أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرزاق لا لغيره؟! سيقولون لله، قل: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٧]؛ أي: إذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات، ورب العرش العظيم، أفلا تخافون عقابَه، وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيرَه وإشراككم به؟[٤].

إذًا المفهومُ الذي تشير إليه الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه بيده ملكوت السموات والأرض وملكوت كل شيء، ومن كانت هذه قدرته وملكه وملكوته فهو مَن يستحقُّ وحدَه العبادة والتوحيد والتنزيه عن الأنداد والشريك، وهو ما يعني: أن النظر في ملكوت السموات والأرض سيؤدي إلى نتيجة رئيسة، مُفادها: أن لهذا الملك مالكًا، ولهذا الملكوت متصرفًا بيده خزائن كل شيء، وهو الله سبحانه.

وهنا ندعو العلماء الذي تخصصوا في النظر والبحث في علوم السموات والأرض أن يتجهوا إلى الإيمان بالله سبحانه وتوحيده وإفراده بالعبادة، ومثل هذه الدعوة تُوجَّه إلى عباد الله سبحانه أجمعين.

[١] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١٣ / ٢٩٠.

[٢] ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ١٤١٩ هـ، ٣/ ٤٦٧.

[٣] أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، ١٩ / ٦٥.

[٤] ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، ٥ /٤٢٥ - ٤٢٦.

الملكوت في الحكمة القرآنية(٤)
التسبيح والملكوت

تاريخ الإضافة: ٢٠١٥/٧/٣٠ ميلادي - ١٤٣٦/١٠/١٣ هجري، على الرابط الآتي:
/http://www.alukah.net/sharia/0/88879

هذه الحلقة الرابعة من سلسلة المقالات حول (الملكوت في الحكمة القرآنية)، وتأتي أفكار هذه المقالة في سياق قول الله سبحانه: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٣]، وبالتأكيد هي تَستظِلُّ بالمفاهيم القرآنية في الحلقات السابقة أيضًا.

يقول الطبريُّ في تفسير الآية الكريمة ذاتها: "يقول تعالى ذكره: فتنزيه للذي بيده ملك كل شيء وخزائنه"[١].

ويربط الزمخشري بين هذه الآية والآيات السابقة من سورة يس نفسها؛ أي: من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٧٧ - ٨٢].

فيشيرُ الزمخشري أن الله عز وجل قبَّح إنكار المشركين للبعث تقبيحًا لا يوجد أعجبُ منه وأبلغ، وأدل على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم، وعقوق الأيادي، وتوغله في الخِسَّة؛ حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخسُّ شيء وأمهنُه، وهو النطفة المذرة، الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة، ثم عجب من حاله بأن يتصدَّى مثلُه - على مهانة أصله، ودناءة أوَّلِه - لمخاصمة الجبار، ويركب متن الباطل ويلج، ويمحك ويقول: مَن يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامُه؟ ثم يكون خصامُه في ألزم وصفٍ له وألصقِه به، وهو كونُه منشأً من موات، وهو ينكر إنشاءَه من موات، وهي المكابرةُ التي لا مطمحَ وراءَها، فسبحان الله الذي بيده مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ، هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته، وقضايا حكمته، وقرئ: مَلَكَةُ كل شيء، وملك كل شيء[٢].

وذهب الرازي إلى ما ذهب إليه الزمخشري: أنه لما تقرَّرت الوحدانية؛ أي وحدانية الله تعالى، والإعادة وأنكروها وقالوا: بأن غيرَ الله آلهةٌ، قال تعالى وتنزَّه عن الشريك: إنه بيده ملكوت كل شيء، وكل شيء ملكُه، فكيف يكون المملوكُ للمالك شريكًا؟![٣]

وأشار ابن كثير أن الله سبحانه يقولُ مُنبِّهًا على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع، بما فيها من الكواكب السيَّارة والثوابت، والأرَضين السبع وما فيها من جبال ورمال، وبحارٍ وقِفار، وما بين ذلك، ومرشدًا إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، فسبحانَ مَن بيده ملكوت كل شيء، وهو القادر على البعث والنشور[٤].

تَخرُجُ هذه المقالة بخلاصة أن التفكُّر في الملكوت يؤدي إلى التسبيح والثناء على الله سبحانه، وإخلاص العبادة له جل شأنه؛ فالتفكُّر في الملكوت – بأدواته الصحيحة، ووسائله المنهجية التي أشارت إليها الآياتُ المباركات التي تقدَّم تفسيرها في الحلقات السابقة من (الملكوت في الحكمة القرآنية) – يؤدي بالضرورة إلى توحيد الله سبحانه، وإخلاص العبادة له جل شأنه.

[١] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢٠ / ٥٥٧.

[٢] أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" ط ٣، دار الكتاب العربي – بيروت،١٤٠٧ هـ، ٤ / ٣٠ – ٣٤.

[٣] أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط ٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٢٦ / ٣١١.

[٤] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): "تفسير القرآن العظيم"؛ تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ٦ / ٥٩٥ وما بعدها.

الحكمة السادسة

ما المدينة التي لبست (لباس الجوع والخوف)؟

نشرت في الألوكة، تاريخ الإضافة: ١٠/١١/٢٠١٥ ميلادي - ٢٧/١/١٤٣٧ هجري، على الرابط الآتي:
/http://www.alukah.net/sharia/0/94363

قال الله سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

قال الطبريُّ في تفسير الآية الكريمة: ومثل الله مثلاً لمكَّة التي سكنها أهلُ الشِّرك بالله هي القَرية التي كانت آمِنةً مطمئنَّة، وكان أَمْنها أنَّ العرب كانت تتعادى، ويقتل بعضها بعضًا، ويَسْبي بعضها بعضًا، وأهل مكة لا يغار عليهم، ولا يحارَبون في بلدهم، فذلك كان أمنها، وقوله ﴿ مُطْمَئِنَّةً ﴾؛ يعني: قارَّة بأهلها، لا يَحتاج أهلُها إلى النَّجْع، كما كان سكَّان البوادي يَحتاجون إليها، ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ يقول: يأتي أهلها معايشهم واسِعة كثيرة، وقوله ﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾؛ يعني: من كلِّ فجٍّ من فِجاج هذه القرية، ومن كلِّ ناحية فيها.

وقوله: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ يقول تعالى ذِكرُه: فأذاق الله أهلَ هذه القرية لباسَ الجوع؛ وذلك جوع خالَط أذاه أجسامهم، فجعل الله تعالى ذِكرَه ذلك لِمخالطته أجسامهم بمنزلة اللِّباس لها؛ وذلك أنَّهم سلط عليهم الجوع سِنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أكلوا العلهز والجِيَف؛ والعلهز: الوبر يُعجن بالدَّم والقُراد يأكلونه، وأمَّا الخوف؛ فإنَّ ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم، وقوله: ﴿ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ يقول: بِما كانوا يَصنعون من الكُفر بأنعُم الله، ويَجحدون آياته، ويكذِّبون رسولَه صلى الله عليه وسلم[١].

وقال الزمخشري: "﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً ﴾؛ أي: جعل القريةَ التي هذه حالُها مثلاً لكلِّ قوم أَنعم اللهُ عليهم فأبطرَتهم النِّعمة، فكفروا وتولَّوا، فأنزل اللهُ بهم نقمتَه، فيجوز أن تراد قرية مقدَّرة على هذه الصِّفة، وأن تكون في قُرى الأوَّلين قريةٌ كانت هذه حالها، فضربَها الله مثلاً لمكَّة إنذارًا من مثل عاقبتها، ﴿ مُطْمَئِنَّةً ﴾ لا يزعجها خوف؛ لأنَّ الطمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلَق مع الخوف، ﴿ رَغَدًا ﴾ واسعًا، والأنعُم: جمع نِعمة، على ترك الاعتداد بالتاء، كدرع وأدرع"[٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويضيف القرطبي: ﴿ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ سمَّاه لباسًا؛ لأنَّه يظهرُ عليهم من الهزال وشُحُوبة اللَّون وسُوء الحال ما هو كاللباس، ﴿ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾؛ أي: من الكفر[٣].

وذهب ابنُ كثير إلى أنَّ هذا مثَلٌ أُريد به أهلُ مكَّة، ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾؛ أي: هنيئًا سهلاً ﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾، ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾؛ أي: جحدَت آلاءَ الله عليها، وأعظمها بعثةُ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إليهم، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]؛ فإنَّ مكَّة كانت آمِنةً مُطمئنَّةً مُستقرَّةً يُتخطَّفُ الناسُ من حولها، ومَن دخلها كان آمنًا لا يَخاف، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ [القصص: ٥٧]، ولهذا بدَّلهم الله بحالَيْهِمُ الأوَّلَينِ خلافهما، فقال: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾؛ أي: ألبَسها وأذاقها الجُوعَ بعد أن كان يُجبى إليهم ثَمراتُ كلِّ شيءٍ، ويأتيها رزقُها رغدًا من كلِّ مكانٍ؛ وذلك لما استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبَوا إلاَّ خلافَه، فدعا عليهم بسبعٍ كسَبع يوسف، فأصابَتهم سنَةٌ أذهبَت كلَّ شيءٍ لهم، فأكلوا العلهز؛ وهو وبَر البعير يُخلط بدمه إذا نَحروه، وأمَّا الخوف؛ وذلك أنَّهم بُدِّلُوا بأمنهم خوفًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين هاجروا إلى المدينة من سَطوته وسراياه وجيوشه، وجعل كل ما لهم في دمار وسفال، حتى فتحها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بسبب صَنيعهم وبغيهم وتكذِيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله فيهم منهم، وامتنَّ به عليهم في قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا ﴾ الآية [الطلاق: ١٠، ١١]، وفي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٤]، وقوله سبحانه: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾- إلى قوله -: ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢]، وكما أنَّه انعكس على الكافرين حالهم فخافوا بعد الأمن، وجاعوا بعد الرغد، فبدَّل اللهُ المؤمنين من بعد خوفهم أمنًا، ورزقهم بعد العَيْلة، وجعلهم أُمراء الناس وحُكَّامهم وسادتهم وقادتهم وأئمَّتهم، وهذا الذي قُلناه من أنَّ هذا المثَل ضُرب لأهل مكة قاله العَوْفيُّ عن ابن عباسٍ، وحكاه مالك عن الزُّهري، وإليه ذهب قتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم[٤].

إذًا هل نتَّعظ مِن هذا المثَل الذي ضرَبه الله سبحانه في كتابه؛ من المدينة التي كانت آمِنة مطمئنَّة، فأبدلها الله سبحانه بالخوف والجوعِ؟ هل نَلجأ إلى الله سبحانه ليَدفع عنَّا الخوف والجوعَ، أو نرى متَّعظين بمثل القرية التي أَلبسها الله سبحانه لباسَ الخوفِ والجوع؟!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

[١] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١٧ / ٣١١ - ٣١٩.

[٢] أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧ هـ، ٢ / ٣٦٨.

[٣] أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ١٩٤/ ١٠.

[٤] ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ):"تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩ هـ، ٤/ ٥٢٢.

الحكمة السابعة

لماذا نصح نوح عليه السلام قومه بالاستغفار؟

نشرت في الألوكة، تاريخ الإضافة: ٢٠١٥/١١/٢٣ ميلادي - ١٤٣٧/٢/١٠ هجري، على الرابط الآتي:
/http://www.alukah.net/sharia/0/94928

جاء في سورة نوح قول الله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

وقوله: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]، يقول: فقلتُ لهم: سلوا ربَّكم غفرانَ ذنوبِكم، وأخلِصوا له العبادةَ، وتوبوا إليه من كُفركم وعبادة ما سواه من الآلهة ووحِّدوه، يَغفر لكم، إنَّه كان غفَّارًا لذنوب مَن أناب إليه، وتاب إليه من ذنوبه.

وقوله: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [نوح: ١١]، يقول: يسقيكم ربُّكم إن تُبتم ووحَّدتُموه وأخلصتم له العبادةَ الغيثَ، فيرسل به السماءَ عليكم مدرارًا متتابعًا، وروى الطبريُّ عن الشعبيِّ، قال: خرج عمر بن الخطاب يَستسقي، فما زاد على الاستغفار، ثمَّ رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما رأيناك استسقيتَ؟ فقال: لقد طلبتُ المطرَ بمجاديح السماء التي يُستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [نوح: ١٠ - ١١]، وقرأ الآيةَ التي في سورة هود حتى بلغ: ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٢ - ١٤].

وقوله: ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [نوح: ١٢]، يقول: ويعطِكم مع ذلك ربُّكم أموالًا وبنين، فيكثرها عندكم ويزيد فيما عندكم منها، ﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ﴾ [نوح: ١٢] يقول: يَرزقكم بساتين، ﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٢]؛ تسقون منها جنَّاتكم ومزارعكم؛ وقال ذلك لهم نوح؛ لأنَّهم كانوا فيما ذُكر قومًا يحبُّون الأموالَ والأولاد[١].

وقال ابن كثير: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [نوح: ١٠ - ١١]؛ أي: مُتواصلة الأمطار؛ ولهذا تُستحبُّ قراءةُ هذه السُّورة في صلاة الاستِسقاء لأجل هذه الآية، وقال ابنُ عباس

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وغيرُه: يَتبعُ بعضه بعضًا، وقوله تعالى: ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٢]؛ أي: إذا تُبتُم إلى الله، واستغفرتُموه وأطَعتموه، كَثر الرِّزقُ عليكم، وأنبَت لكم الزَّرعَ، وأسقاكم من بركات السَّماء، وأدرَّ لكم الضَّرعَ وأمدَّكم بأموالٍ وبنين؛ أي: أعطاكم الأموالَ والأولاد، وجعل لكم جنَّاتٍ فيها أنواع الثِّمار، وخلَّلها بالأنهار الجارية بينها[٢].

إذًا، الاستغفار سنَّة واردة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأنَّنا نجد منهجَ الاستغفار واردًا في سنَّة النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم، روى البخاري عن الزُّهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن، قال: قال أبو هريرة: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((والله إنِّي لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرَّةً))[٣].

وروى البخاري: حدثنا أبو معمرٍ، حدثنا عبدالوارث، حدثنا الحسينُ، حدثنا عبدالله بن بُريدة، قال: حدثني بشيرُ بن كعبٍ العدويُّ، قال: حدثني شدَّادُ بن أوسٍ رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((سيِّدُ الاستغفار أن تقول: اللهمَّ أنت ربِّي لا إله إلَّا أنت، خلَقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنِعمتك عليَّ، وأبوءُ لك بذنبي فاغفر لي؛ فإنَّه لا يغفرُ الذُّنوب إلَّا أنت))، قال: ((ومن قالها من النَّهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يُمسي، فهو من أهل الجنَّة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها، فمات قبل أن يُصبِح، فهو من أهل الجنَّة))[٤].

وفي صحيح مسلم: حدثنا داودُ بن رُشَيدٍ، حدثنا الوليدُ، عن الأوزاعيِّ، عن أبي عمَّارٍ – اسمُه شدَّاد بن عبدالله – عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: ((اللهمَّ أنت السلامُ ومنك السلامُ، تباركتَ ذا الجلال والإكرام))، قال الوليدُ: فقلتُ للأوزاعيِّ: "كيف الاستغفارُ؟ قال: تقولُ: أستغفرُ الله، أستغفرُ الله"[٥].

وعن أبي بُردة، عن الأغرِّ المزني، وكانت له صُحبةٌ، أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((إنَّه ليُغانُ على قلبي، وإنِّي لأستغفرُ اللهَ في اليوم مائة مرَّةٍ))[٦].

وعن أبي بُردة، قال: سمعتُ الأغرَّ – وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – يُحدِّث ابن عمر قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أيُّها الناسُ، تُوبوا إلى الله، فإنِّي أتوبُ في اليوم إليه مائة مرَّة))[٧].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إذًا، نتعلَّم من الأنبياء؛ من نوحٍ عليه السلام إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (منهجَ الاستغفار)؛ قربةً إلى الله تعالى، وطلبًا لمرضاته سبحانه، ووسيلة لتَكفير الذنوب والخطايا، ولجَلب الرِّزق، وتفريج الهموم والكروب، وخضوعًا وتذلُّلًا للخالق جلَّ شأنه، وكل ذلك وغيره يُستفاد من نصيحة نوح عليه السلام إلى قومه في الاستغفار.

[١] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، ٢٣/ ٦٣٣.

[٢] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩ هـ، ٨/ ٢٤٩.

[٣] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٨/ ٦٧.

[٤] صحيح البخاري ٨/ ٦٧.

[٥] مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ، ١/ ٤١٤.

[٦] صحيح مسلم ٤ / ٢٠٧٥.

[٧] صحيح مسلم ٤ / ٢٠٧٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الثامنة

ففروا إلى الله

نشرت في الألوكة، تاريخ الإضافة: ١٣/٣/٢٠١٦ ميلادي - ٣/٦/١٤٣٧ هجري، على الرابط الآتي:
/http://www.alukah.net/sharia/0/100210

قال الله سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

يقول الله تعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد؛ أي: قل لقومك: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠]؛ أي: فِرُّوا من معاصيه إلى طاعته، وقال ابن عباس: فِرُّوا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم، وعنه: فِرُّوا منه إليه، واعملوا بطاعته، وقال محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠] اخرجوا إلى مكة، وقال أبو بكر الوَرَّاق: فِروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن، وقال الجُنَيْد: الشيطان داعٍ إلى الباطل؛ ففروا إلى الله يمنعكم منه، وقال ذو النون المصري: ففروا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الشكر، وقال الحسين بن الفضل: احترزوا من كل شيء دون الله، فمَن فرَّ إلى غيره لم يمتنع منه، وقال سهل بن عبد الله: فِروا مما سوى الله إلى الله، وقال عمرو بن عثمان: فروا من أنفسكم إلى ربكم، وقال أيضًا: فروا إلى ما سبق لكم من الله، ولا تعتمدوا على حركاتكم [١].

ويقول الطبري: يقول تعالى ذِكرُه: فاهرُبوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته؛ بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته[٢].

ويقول ابن كثير: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠]؛ أي: الجؤوا إليه، واعتمدوا في أموركم عليه[٣].

وهذا ما يفعله العارفون بالله سبحانه، فهم في كل حين فارُّون إلى الله سبحانه من كل شيء سواه، ومقبلون عليه بالكلية، وإلى ذلك يذهب أبو طالب المكِّيُّ، فيقول: فقد فرَّغ العارفون قلوبَهم لله سبحانه، واجتمعَتْ المتفرقات بمجامعها لهم، فلهم بكل شيء مزيد، ومن كل شيء توحيد، كل خاطر بهم يردهم إلى الله سبحانه، وكل نظرة وحركة طريقٌ لهم إليه، وكل منظور إليه يدلُّهم عليه، فتوحيدهم في مزيد، ويقينهم في تجديد، بغير تغيير ولا تصريد، ولا إيقاف ولا تحديد، ولربما طلب أحدهم التسبب بالأسباب، فيجمعه بها رب الأرباب؛ لأنه مراد بالاجتماع، وإنما استروح بالشَّتَات؛ لاستجمام ما هو في قلبه آت؛ ثقةً منه بحبيبه، وتمكُّنًا عند محبوبه؛ إذ قد علم أنه طالب؛

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فطرح نفسه ليحمله، فحمله بما تولاه، ولم يَكِلْه إلى نفسه وهواه، والمرادون بها محمولون بها، مواجهون بعلمها، مسلوكٌ بهم طريقها، مزوَّدون زادها، وهي محبوسة عليهم، مقصورة لهم؛ فهم لها سابقون، فأولياء الله عابدوه، وقد عكفوا بقلوبهم لمن عبدوه، ونظروا إلى معبودهم الذي عكفوا عليه، ففهموا عنه فصلَ الخطاب، بما آتاهم من شهادة حكمه حكم الكتاب

فهذه مقاماتٌ لأهلها، لا يعرفها سواهم، ولا تصلح إلا لهم، ولا تليق إلا بهم، ولا يُقاس عليها، ولا يُدعى مكانها، ولا تُنتظَر فتُترَك لها الأوراد، ولا تُتوقَّع فيُقصر لأجلها في الطلب[٤].

ويوضح أبو طالب المكِّيُّ أن العبد لا يخلو في كل وقت - وإن قلَّ - من أحد مقامين: مقام نعمة، أو مقام بَلِيَّة؛ فحاله عند مقام النعمة الشكرُ، وحاله عند مقام البلية الصبرُ، ثم ليس يفقد أحد مشاهدتين: شهود نعمة، أو شهود منعم، من حيث لا يخلو من وجود مالك وحضور مملوك، فعليه الخدمة للموجود، وعليه الحضور في خدمة المعبود، والمراقبة علامة الحضور، والمحاسبة دليل المراقبة، ويكون له أيضًا في أدنى أوقاته، وهو الوقت الثالث الذي هو لمباحِه، وهو أدنى أحوال المؤمن، يكون له فيه مشاهدة منعم أو شهود نعمة؛ لئلا يذهب وقتُه هذا أيضًا فارغًا من دنياه، ولا يعود عليه شيء من ذكر مولاه، أو يذكر نعمةً تدله على منعم أو تخرجه إليه فينفعه ذلك في عُقباه؛ إذ العاقبة للمتقين، فإن شَهِد مُنعِمًا اقتطعه الحياء بالسكينة والوقار للهيبة، وهذا مخصوص بخصوص، وإن شَهِد نعمة استغرقه بالشكر والاعتبار، فكان لديه تبصرة وتذكار، فالعبد الفطن يأخذ من عمره ووقته فيجعله لآخرته التي أيقن بها، ثم يأخذ من وقته أعلى ما فيه، مما يختص به الوقت ولا يوجد إلا فيه، ويفوت دَرَكه بفوت وقته، وهو أفضل ما يقدر عليه، مما أداه علمه إليه؛ فيجعله لمولاه[٥].

ويبين أبو إسماعيل الهَرَوِيُّ أن الفرار هو الهرب مما لم يكن، إلى ما لم يزل، والفرار إلى الله تعالى على ثلاث درجات:

١- فرار العامة من الكسل إلى التشمير حذرًا وعزمًا، ومن الضيق إلى السَّعة ثقةً ورجاءً، ومن الجهل إلى العلم عقدًا وسعيًا.

٢- وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود، ومن الحظوظ إلى التجريد، ومن الرسوم إلى الأصول.

٣- وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق، ثم من شهود الفرار إلى الحق، ثم الفرار من الفرار إلى الحق[٦].

إذًا فالآية حَثٌّ على الإقبال على الله سبحانه وحده بالكلية، يقول الراغب الأصفهاني: من كان قصده الوصول إلى جوار الله تعالى، فليتوجه نحوه، كما قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠][٧].

ومما يُستعان به في الفرار إلى الله تعالى التَّبَرِّي، وهو أن يتبرأ الإنسان مِن حَوْلِه وقوَّته، والالتفات إلى نفسه بين الرضا والتزكية، فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين، فلا يشهد نفسه عند ذلك، بل يشهد الموقنين والصدِّيقين فيها، ويتشوَّف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم، وإذا تلا آيات المقْت وذم العصاة والمقصرين، شهد على نفسه هناك، وقدَّر أنه المخاطب خوفًا وإشفاقًا، فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة، كان رؤيتُه سببَ قربه؛ فإن من شَهِد البعد في القرب، لُطِف به في الخوف، حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراءها، ومن شهد القرب في البعد مُكِر به بالأمن الذي يُفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه، ومهما كان مشاهِدًا نفسه بعين الرضا، صار محجوبًا بنفسه، فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه، ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته، كُشِف له سر الملكوت[٨].

فمَن يَفِرُّ إلى الله تعالى: "لا يحب إلا الله تعالى، ولا يخاف إلا منه، ولا يتوقع الرزق من غيره، ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله تعالى فيه، فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة، لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها، بل كان ورده بعد المكتوبات واحد؛ وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال، فلا يخطر بقلوبهم أمر، ولا يقرع سمعَهم قارع، ولا يَلُوح لأبصارهم لائح، إلا كان لهم فيه عِبرة وفكر ومزيد، فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى"[٩].

[١] أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ١٧/ ٥٣، ٥٤.

[٢] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ٢٢/ ٤٤٠.

[٣] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، ٧/ ٤٢٤.

[٤] محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ): (قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت / ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ١/ ١٤٨.

[٥] أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ): (قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد)، ١/ ١٦٠.

[٦] أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري الهَرَوِيُّ (المتوفى: ٤٨١هـ): (منازل السائرين)، دار الكتب العلمية – بيروت، ص ٢٢.

[٧] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ): (الذريعة إلى مكارم الشريعة)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، ١/ ١٧٣.

[٨] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ): (إحياء علوم الدين)، دار المعرفة – بيروت، بدون تاريخ، ١/ ٢٨٨.

[٩] الغزالي: (إحياء علوم الدين)، ١/ ٣٥٠.

الحكمة التاسعة

وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً

نشرت في الألوكة، تاريخ الإضافة: ٢٠١٧/٣/٣٠ ميلادي - ١٤٣٨/٧/٢ هجري، على الرابط الآتي:
/http://www.alukah.net/sharia/0/114315

يُعالِجُ القرآن الكريم مشكلةَ الجهل والجاهلين في مواضعَ كثيرة، وقضيةُ الجهل من القضايا المهمة التي تناوَلَها القرآن الكريم، واضعًا الحلولَ والمعالجات المهمة لها.

ونركز في هذا المقال على قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

يقول الله سبحانه: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] بالحلم والسكينة والوقار، غير مستكبرين ولا متجبِّرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله.

واختلف أهل التأويل، فقال بعضهم: عنى بقوله: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار.

عن الحسن في ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، قال: حلماء، وإن جُهل عليهم، لم يجهلوا.

وقوله: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، يقول: وإذا خاطبهم الجاهلون باللهِ بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسدادِ من الخطاب.

عن الحسن في قوله: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، قال: إن المؤمنين قوم ذُلُلٌ، ذلت منهم واللهِ الأسماعُ والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهلُ مرْضى، وإنهم لأصحَّاء القلوب، ولكن دخَلهم من الخوف ما لم يدخل غيرَهم، ومنعهم من الدنيا علمُهم بالآخرة، فقالوا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [فاطر: ٣٤]، والله ما حزنهم حزن الدنيا، ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة، أبكاهم الخوف من النار، وإنه من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم يرَ لله عليه نعمة إلا في مطعم ومشرب، فقد قل علمُه وحضر عذابه[١].

وفي التفسير: "يمشون على الأرض حلماء متواضعين، يمشون في اقتصاد، والقصدُ والتؤدة وحسن السمت من أخلاق النبوة، وقال صلى الله عليه وسلم: ((أيها الناس، عليكم بالسكينة؛ فإن البرَّ ليس في الإيضاع))، وروي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا زال زال تقلعًا، ويخطو تكفؤًا، ويمشي هونًا، ذريع المشية إذا مشى، كأنما ينحط من صبَبٍ.

التقلُّع: رفع الرِّجل بقوة، والتكفُّؤ: الميل إلى سَنَنِ المشي وقصده، والهون: الرِّفق والوقار، والذريع: الواسع الخطى؛ أي: إن مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعة ويمد خطوه، خلاف مشية المختال، ويقصد سمته، وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة.

وهو لما ذكر جهالات المشركين وطعنهم في القرآن والنبوة، ذكر عباده المؤمنين أيضًا وذكر صفاتهم، وأضافهم إلى عبوديته تشريفًا لهم، كما قال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء: ١]، فمن أطاع الله وعبَده، وشغل سمعَه وبصره ولسانَه وقلبه بما أمره، فهو الذي يستحق اسم العبودية، ومن كان بعكس هذا، شمله قولُه تعالى: ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]؛ يعني في عدم الاعتبار، كما تقدم في الأعراف، وكأنه قال: (وعباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض)، فحذف (هم)؛ كقولك: زيد الأمير؛ أي: زيد هو الأمير، فـ﴿ الَّذِينَ ﴾ [الفرقان: ٦٣] خبر مبتدأ محذوف؛ قاله الأخفش، وقيل: الخبر قوله في آخر السورة: ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [الفرقان: ٧٥]، وما بين المبتدأ والخبر أوصافٌ لهم، وما تعلق بها؛ قاله الزجاج، قال: ويجوز أن يكون الخبر ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ ﴾ [الفرقان: ٦٣]، و﴿ يَمْشُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٣] عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم، فذكر من ذلك العظم، لا سيما وفي ذلك الانتقال في الأرض، وهو معاشرة الناس وخلطتهم.

قوله تعالى: ﴿ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، الهون مصدر الهين، وهو من السكينة والوقار، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، قال النحَّاس: ليس ﴿ سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] من التسليم، إنما هو من التسلم؛ تقول العرب: سلامًا؛ أي تسلمًا منك؛ أي براءة منك، منصوب على أحد أمرين: يجوز أن يكون منصوبًا بـ ﴿ قَالُوا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، ويجوز أن يكون مصدرًا؛ وهذا قول سيبويه"[٢].

وقال ابن وهب: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، قالوا سدادًا من القول[٣].

ويرى الأخفش أن معنى الآية هو البراءة، يقول: "وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ أي: قالوا: "بَرَاءَةً مِنْكُم"؛ لأنَّ "السَّلام" في بعض الكلام هو: البراءة؛ تقول: "إنَّما فلانٌ سَلامٌ بِسلام"؛ أي: لا يُخالِطُ أحدًا"[٤].

وقال الماوردي: "قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ فيه أربعة أقاويل: أحدها: علماء وكلماء؛ قاله ابن عباس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الثاني: أعفاء أتقياء؛ قاله الضحاك.

الثالث: بالسكينة والوقار؛ قاله مجاهد.

الرابع: متواضعين لا يتكبرون؛ قاله ابن زيد.

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، الجاهلون هم السفهاء، ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ فيه أوجه:

- قالوا: وعليك السلام؛ قاله الضحاك.
- أنه طلب المسالمة؛ قاله ابن بحر"[٥].

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: "وإذا سفِه عليه الجاهلُ، قال: وعليك السلام"[٦].

وقال مكي بن أبي طالب القيسي: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]: إذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهون من القول، أجابوهم بالمعروف والسداد من الخطاب، فقالوا: تسلُّمًا منكم، وبراءة بيننا وبينكم"[٧].

إذًا هذا الحل الذي يقدِّمه القرآن الكريم عند التعرُّض لأي موقفٍ من جاهل، حلٌّ يسير وعملي، وقابلٌ للتطبيق في أي زمان ومكان، إنه حل: ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، بهذه الكلمة فقط، وما أيسَرَها، وأسهَلَها، وأوضَحَها! تواجه موقف الجهل من أي جاهل، فبدلًا من أن تقضي الوقت في التخاصم والمنازعة، يعلِّمك القرآن الكريم أن تواجه الجاهلَ بكلمة: ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وما يلزم منها من سكينة وحلم ووقار، والمعروف من القول، والسداد من التخاطب.

وتبارك الله ربُّنا أحسن القائلين، سبحانه وتعالى.

[١] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): "جامع البيان عن تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١٩ / ٢٩٥.

[٢] أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): "الجامع لأحكام القرآن/ تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ١٣ / ٦٨، ٧٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٣] أبو محمد عبدالله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ): "تفسير القرآن من الجامع لابن وهب"، المحقق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، ١ / ١٤. وانظر: أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ): "تفسير عبدالرزاق"، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ، ٢ / ٤٥٩.

[٤] أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ): "معاني القرآن"؛ للأخفش، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م، ١ / ١٨٠.

[٥] أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (المتوفى: ٤٥٠ هـ): "تفسير الماوردي = النكت والعيون"، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان، بدون تاريخ، ٤ / ١٥٥، وقارن مع: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (المتوفى: ٥٩٧ هـ): "زاد المسير في علم التفسير"، المحقق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، ٣٢٧/٣.

[٦] أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ): "تفسير القرآن العظيم"؛ لابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ، ٨ / ٢٧٢٢.

[٧] أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ): "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه"، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ٨ / ٥٢٥٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة العاشرة

كيف تتخلص من نزغ الشيطان

خطوات لمنع الشيطان من إعاقة تفكيرك وسلوكك

بِسْم الله الرحمن الرحيم

{ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }

(فصلت: ٣٦).

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾} إلى آخر الآية [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] . [١٣٣]

ورد نزغ الشيطان في كتاب الله تعالى في المواضع الاتية:

قوله سبحانه وتعالى: { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) } (الأعراف: 200- 201).

وقوله سبحانه: { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (فصلت: ٣٦).

---

[١٣٣] ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ): " سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط"، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م،3/ 88.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقوله سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام: { وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (يوسف: ١٠٠).

وقوله تعالى: { وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا } (الإسراء: ٥٣) .

وفي هذا البحث نحاول أن نفهم معنى النزغ الوارد في كتاب الله تعالى، وطريق الوقاية منه، فإلى ذلك، إن شاء الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول

النزغ في اللغة والإصطلاح

النزغ في اللغة:

قال الخليل: " نزغ: نَزَغ فلان بينهم نَزْغاً أي: حمل بعضهم على بعض بفساد ذات بينهم ". [١٣٤]

نزغه، كمنعه، نزغاً: نخسه، وطعن فيه، واغتابه، وذكره بقبيح، وهو مجاز، مثل ندغه، ونسغه. ورجل منزغ، كمنبر، ومنزغة بهاء، ونزاغ، كشداد: ينزغ الناس والهاء للمبالغة. والنزغ بالفتح: الكلام الذي يغري بين الناس.

ومن المجاز: نزغ الشيطان، أي: وسوس ومنه قوله تعالى: { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ }، نزغ الشيطان: وساوسه ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي، يعني يلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه. ومن المجاز: نزغ بينهم نزغاً: أفسد، وأغرى، وحمل بعضهم على بعض، قاله أبو زيد، وكذلك نزأ بينهم، ومأس، ودحس، وآسد، وأرش، ومنه قوله تعالى: من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي، أي: أغرى، وقيل: أفسد. [١٣٥]

قال أبو الحسن في قول الله عز وجل: {وإمّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ}. قال: يلقي في قلبك ما يفسده على أصحابك، ليفرق بينكم. ومنه: {مِن بَعدِ أن نَزَغَ الشَّيطانُ بَينِي وبَينَ إخوَتِي}. قال أبو الحسن: النزغ: الكلام الذي يغري بين الناس. يقال: نغز، بمعنى: نزغ. ويقال: أخرجوا النغار من بينكم والنزاغ. [١٣٦]

---

[١٣٤] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ): "كتاب العين"، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 4/ 384.

[١٣٥] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ): " تاج العروس من جواهر القاموس"، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ، 22/ 580.

[١٣٦] ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ): "كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني)"، المحقق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م، ص 496.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الخليل: النزغ أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد كما نزغ الشيطان بين يوسف وإخوته. وقال أبو زيد: تقول نزغت بينهم أنزغ نزغاً بفتح الزاي في الماضي والمستقبل وسكونها في المصدر إذا أفسدت بينهم وأصابهم نزغ بفتح النون وسكون الزاي ونازغ من الشيطان. [١٣٧]

ونزغ الرجل ينزغه نزغاً: ذكر بقبيح. ورجل منزغ، ومنزغة، ونزاغ: ينزغ الناس. وأدرك الأمر بنزغه: أي بحدثانه، عن ثعلب. ونزغه بكلمة، نزغاً: نخسه. ونزغه نزغاً: طعنه بيد أو رمح. وقال الزجاج: معناه إن نالك من الشيطان أدنى نزغ ووسوسة وتحريك يصرفك عن الاحتمال. فاستعذ بالله من شره وامض على حكمك. [١٣٨]

ونزغ الرجل ينزغه نزغاً: ذكره بقبيح. ورجل منزغ ومنزغة ونزاغ: ينزغ الناس. والنزغ: شبه الوخز والطعن. ونزغه بكلمة نزغاً: نخسه وطعن فيه مثل نسغه. وندغه ونزغه نزغاً: طعنه بيد أو رمح. نزغ: النزغ: أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم. ونزغ بينهم ينزغ وينزغ نزغاً: أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض. والنزغ: الكلام الذي يغري بين الناس. ونزغه: حركه أدنى حركة. ونزغ الشيطان بينهم ينزغ وينزغ نزغاً أي أفسد وأغرى. وقوله تعالى: { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ }، نزغ الشيطان: وساوسه ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي، يعني يلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه؛ وقال الزجاج: معناه إن نالك من الشيطان أدنى نزغ ووسوسة وتحريك يصرفك عن الاحتمال، فاستعذ بالله من شره وامض على حكمك. أبو زيد: نزغت بين القوم ونزأت ومأست كل هذا من الإفساد بينهم، وكذلك دحست وآسدت وأرشت. [١٣٩]

وبهذا يتبين أن النزغ الشيطاني يهدف إلى الإفساد بين الناس من خلال حمل بعضهم على البعض الاخر، والإغراء بينهم من أجل التخريب والفساد الذي قد يعمهم بسبب هذا النزغ.

---

[١٣٧] أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ): " البارع في اللغة"، المحقق: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد – دار الحضارة العربية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٥م، ص 331.

[١٣٨] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]: المحكم والمحيط الأعظم"، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، 5/ 544.

[١٣٩] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ): " لسان العرب"، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، 8/ 454.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النزغ في الإصطلاح

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن للشيطان لمةً بابن آدم وللملك لمةً فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ} الآية. [١٤٠]

يشرح المناوي الحديث، فيقول:

" (إن للشيطان لمة) بالفتح قرب وإصابة من الإلمام وهو القرب (يابن آدم وللملك لمة) المراد بها فيهما ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك (فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق) فإن الملك والشيطان يتعاقبان تعاقب الليل والنهار فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره وآخر بضده ومنهم من يكون زمنه نهارا كله وآخر بضده قال القاضي: والرواية الصحيحة إيعاد على زنة إفعال في الموضعين (فمن وجد ذلك) أي إلمام الملك (فليعلم أنه من الله) يعني مما يحبه ويرضاه (فليحمد الله) على ذلك (ومن وجد الأخرى) أي لمة الشيطان (فليتعوذ بالله من الشيطان) تمامه ثم قرأ { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ } (للبقرة: 268). اه. قال القاضي: " والإيعاد وإن اختص بالشر عرفاً يقال أوعد إذا وعد وعداً شراً إلا أنه استعمل في الخير للازدواج والأمن من الاشتباه بذكر الخير بعده". اه ". [١٤١]

وينبه المناوي إلى ما ذكره الغزالي بخصوص ذلك، ف" الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر سميت به لأنها تخطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها، والخواطر هي المحركة للإرادات وتنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير أي ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين، فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً والمذموم يسمى وسواساً، وهذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب، ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الأسباب، فمهما استنار حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود علم أن سبب السواد غير سبب الاستنارة، وكذا الأنوار في القلب وظلماته سببان فسبب الخاطر الداعي للخير يسمى

---

[١٤٠] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): " الجامع الكبير – سنن الترمذي"، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م، 5/ 69.

[١٤١] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ): " فيض القدير شرح الجامع الصغير"، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ، 2/ 499.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ملكاً والداعي للشر شيطاناً واللطف الذي به تهيأ القلب لقبول لمة الملك يسمى توقيفاً، واللطف الذي به تهيأ القلب لقبول وسواس الشيطان إغواءاً وخذلاناً، فإن المعاني مختلفة إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف، والشيطان عبارة عن خلق شأنه الوعيد بالشر والأمر بالفحشاء فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه يشير بآية { وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ } (الذاريات: 49)، والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فرحم الله عبداً وقف عند همه فما كان لله أمضاه، وما كان من عدوه جاهده والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة وآثار الشياطين صلاحاً متساوياً لكن يترجح أحدهما باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والإعراض عنها ومخالفتها". [١٤٢]

يقول الجصاص:

" قيل في نزغ الشيطان إنه الإغواء بالوسوسة، وأكثر ما يكون عند الغضب وقيل إن أصله الإزعاج بالحركة إلى الشر، ويقال: هذه نزغة من الشيطان، للخصلة الداعية إليه. فلما علم الله تعالى نزغ الشيطان إيانا إلى الشر علمنا كيف الخلاص من كيده وشره بالفزع إليه والاستعاذة به من نزغ الشيطان وكيده، وبين بالآية التي بعدها أنه متى لجأ العبد إلى الله واستعاذ من نزغ الشيطان حرسه منه وقوى بصيرته بقوله: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ } (الأعراف: 201) قال ابن عباس: الطيف هو النزغ. وقال غيره: "الوسوسة". وهما متقاربان وذلك يقتضي أنه متى استعاذ بالله من شر الشيطان أعاذه منه وازداد بصيرةً في رد وسواسه والتباعد مما دعاه إليه، ورآه في أخس منزلة وأقبح صورة لما يعلم من سوء عاقبته إن وافقه وهون عنده دواعي شهوته". [١٤٣]

والمراد من النزغ أن " أنه يغري بينهم حتى يضرب أحدهما الآخر بسلاحه فيحقق الشيطان ضربته له". [١٤٤]

---

[١٤٢] المناوي القاهري: " فيض القدير شرح الجامع الصغير"، 2/ 499- 500.

[١٤٣] أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ): " أحكام القرآن"، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، 3/ 51.

[١٤٤] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري"، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 13/ 25.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني
الإستعاذة بالله
وسيلة لمنع النزغ الشيطاني

النزغ الشيطاني في ضوء سورة الأعراف:

يقول الطبري في تأويل قوله: { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}: يعني جل ثناؤه بقوله: { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ }، وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين، ويحملك على مجازاتهم { فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ }، يقول: فاستجر بالله من نزغه { إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }. [١٤٥]

قال تعالى: { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ } فالله جل جلاله أعطانا دواء لنزغ الإنسان ودواء لنزغ الشيطان، فأما دواء نزغ الإنسان –الذي تراه ويراك– عند ظلمه واعتدائه أن تحسن إليه بالكلمة الطيبة وبالعطاء وبصلته وبالغض عن مساوئه، وأما الشيطان الذي لا تراه فلا يفيد معه هذا؛ لأنه طبع على الشر، كما قال تعالى: {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة:١٦٨]. فإذا وسوس لك الشيطان فلا تخضع له ولا تصبر على لأوائه وعلى شره وعلى إيذائه وعلى ظلمه، بل إن شعرت به يوسوس في صدرك ويحيط بك فاستعذ بالله وقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وتلاوة القرآن وذكر الله من أعظم ما يتحصن به في ذلك، ومن أعظم التحصن في ذلك تلاوة آية الكرسي والمعوذتين وسورة الكهف، وتلاوة القرآن في البيت تطرد الشيطان ووساوسه عن الرجل والمرأة والأولاد، والبيت الذي لا يذكر الله فيه وليس فيه صلاة ولا تلاوة ولا عبادة فهو بيت الشيطان نفسه، ولا خير في هذا البيت ولا في الصلة به ولا شراكته ولا مصاهرته ولا القرب منه، وفي مثله يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (الحب في الله والبغض في الله من الإيمان). فقوله تعالى: { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ} أي: وإما أن يوسوس لك الشيطان ويدفعك في طريق الشر عن طريق وساوسه ونزواته وشهواته، { نَزْغٌ } أي:

---

[١٤٥] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، 13/ 332.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إيذاء ووسوسة ودفع إلى الشر، { فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ }، أي: قل: أعوذ بك يا رب! وأجعلك معاذي وموئلي وحصني الذي أتحصن به من هذا الشيطان الرجيم. [١٤٦]

قال تعالى: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ} [فصلت:٣٦]، النزع: أدنى الحركة، فنزغ بمعنى: تحرك حركة بسيطة جداً، فيكون معنى الآية: إما يستفزنك من الشيطان شيء ولو كان شيئاً بسيطاً جداً من وسوسة الشيطان، ليصدك بها، فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وتعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وأتى سبحانه هنا بهذين الاسمين السميع والعليم، أي: أنه يسمع ما تقول، ويعلم ما تخفيه في قلبك من ناحية أخيك، ويعلم ما ألقاه الشيطان من وسوسة في قلبك حتى تنتقم ممن أساء إليك، وتبتعد عن مقام العفو عنهم. قال تعالى: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ} [فصلت:٣٦]، أي: أدنى وسوسة من الشيطان فأعرض عنه، والجأ إلى من خلقك وهو الله سبحانه، وقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال تعالى: {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت:٣٦] أي: السميع الذي يسمع كل شيء، والعليم الذي يعلم كل شيء من أقوال وأفعال ونوايا. [١٤٧]

{ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب. وقيل إن الشيطان يجد مجالاً في حمل الإنسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ فأمر الله بالالتجاء إليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض. وقال الزجاج: النزغ أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة، وقيل النزغ الانزعاج وأكثر ما يكون عند الغضب وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشر والإفساد. يقال: نزغت بين القوم إذا أفسدت بينهم. والمعنى وإما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان

---

[١٤٦] محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: ١٤١٩هـ): " تفسير القرآن الكريم "، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net ،[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٣٥٧ درساً. وانظر: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ): " محاسن التأويل"، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، 8/ 341.

[١٤٧] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة: " تفسير الشيخ أحمد حطيبة"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net ، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٥١٠ درسا]، وانظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، 15/ 435.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسوسة أو نخسة فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ يعني فاستجر بالله والجأ إليه في دفعه عنك إِنَّهُ سَمِيعٌ يعني لدعائك عَلِيمٌ بحالك. [١٤٨]

وقوله عز وجل: { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }، هذه الآية وصِيَّة من الله سبحانه لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم تعمُّ أمته رجُلاً رجلاً، والنَّزْغ: حركةٌ فيها فسادٌ قلَّما تستعملُ إلا في فَعْلِ الشيطان لأن حركته مسرِعَةٌ مفسدة ومنه قولُ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: «لاَ يُشِرْ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بالسِّلاَحِ لاَ يَنْزَغِ الشَّيْطَانُ فِي يَدِهِ» ، فالمعنى في هذه الآية: فإِمَّا تَلُمَّنَّ بك لَمَّةٌ من الشيطان، فاستعذ باللَّه، وعبارة البخاريِّ: يَنْزَغَنَّكَ: يستَخِفَنَّكَ. وَنَزْغُ الشيطان عامٌّ في الغَضَبِ، واكتساب الغوائل، وتحسينِ المعاصِي، وغير ذلك وفي «جامع الترمذيِّ» عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قالَ: «إِن لِلْمَلَكِ لَمَّةً، وللشَّيْطَانِ لَمَّةً ... »، الحديث، قال ابنُ زيد: لما نَزَل قوله تعالى: { وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ } قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «كَيْفَ يَا رَبِّ، والغَضَبُ؟ فَنَزَل قولُه: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ»، وقيل عن هاتين اللَّمّتَيْنِ: هي الخواطِرُ من الخير والشر، فالآخِذُ بالواجبِ يلقى لَمَّةَ المَلَك بالامتثال والاستدامة، وَلَمَّةَ الشيطانِ بالرفْضِ والاستعاذة، واستعاذ: معناه: طَلَب أَنْ يُعَاذَ، وعَاذَ: معناه: لاذ، وانضوى، واستجار. قال الفَخْر : وقوله: { إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } يدلُّ علَى أن الاستعاذة لا تفيدُ إلاَّ إذا حضر في القَلْبِ العِلْمُ بمعنى الاستعاذة، فكأنه تعالَى قال: اذكر لَفْظَ الاستعاذة بلسانك فإن سميعٌ، واستحضر معاني الاستعاذة بِعَقْلِكَ وقَلْبِك فإِني عَليمٌ بما في ضَمِيرِكَ، وفي الحقيقة: القوْلُ اللسانيُّ دون المعارفِ العقليَّة، عديمُ الفائدة والأثر. [١٤٩]

{ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ } جعل النزغ نازغاً على طريقة جديدة، نخس شبه به وسوسته لأنها تبعث الإنسان على ما لا ينبغي كالدفع بما هو أسوأ، أو أريد به نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر. فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ من شره ولا تطعه. { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ }لاستعاذتك { الْعَلِيمُ } بنيتك أو بصلاحك. [١٥٠]

---

[١٤٨] علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ): " لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، 2/ 284.

[١٤٩] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ): " الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، 3/ 107.

[١٥٠] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ): " أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، 5/ 72.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله سبحانه وتعالى: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ } وقرئ طيف { مِنَ الشَّيْطانِ } وهما لغتان ومعناه الشيء يلم بالإنسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الإنسان والطيف الوسوسة. قال الأزهري: الطيف في كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لأن الغضبان يشبه المجنون. وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس. وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيف لأنه لمة من الشيطان تشبه لمة الخبال فذكر في الآية الأولى النزغ وهو أخف من الطيف المذكور في هذه الآية لأن حالة الشيطان مع الأنبياء أضعف من حاله مع غيرهم تَذَكَّرُوا يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده، وقال السدي: إذا زلوا تابوا وقال مقاتل: هو الرجل إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنه معصية فأبصر ونزع عن مخالفة الله عز وجل، قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه. وقال مجاهد: هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ يعني أنهم يبصرون مواقع الخطأ بالتذكر والتفكر. [١٥١]

قال ابن كثير: وورد في حديث الرجلين اللذين تسابا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، فغضب أحدهما حتى جعل أنفه يتمزع غضبًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". فقيل له، فقال: ما بي من جنون. وأصل "النزغ": الفساد، إما بالغضب أو غيره، قال الله تعالى: {وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم} [الإسراء:٥٣] و"العياذ": الالتجاء والاستناد والاستجارة من الشر، وأما "الملاذ" ففي طلب الخير. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما نزل: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا رب، كيف بالغضب؟ " فأنزل الله: { وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}. [١٥٢]

وفي قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) } (الأعراف: 201). يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا ما عنه زجر، أنهم { إِذا مَسَّهُمْ } أي: أصابهم "طيف" وقرأ آخرون: "طائف"، وقد جاء فيه حديث، وهما قراءتان مشهورتان، فقيل: بمعنى واحد. وقيل: بينهما فرق، ومنهم من فسر ذلك بالغضب، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه، ومنهم من فسره بالهم بالذنب، ومنهم من فسره بإصابة الذنب.. وقوله: { تَذَكَّرُوا } أي: عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده،

[١٥١] الخازن (المتوفى: ٧٤١هـ): " لباب التأويل في معاني التنزيل"، 2/ 285.

[١٥٢] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): " تفسير القرآن العظيم"، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، 3/ 533.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب. { فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ } أي: قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه. [١٥٣]

وفي مُصْحَفِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ «إِذَا طَافَ مِنَ الشَّيْطَانِ طَائِفٌ تَأَمَّلُوا» ، وقوله: مُبْصِرُونَ: من البصيرة، أي: فإذا هم قد تبيَّنوا الحقَّ، ومالوا إليه، والضميرُ في إِخْوانُهُمْ، عائدٌ على الشياطين، وفي يَمُدُّونَهُمْ عائدٌ على الكُفَّار، وهم المرادُ ب «الإِخوان» ، هذا قول الجمهور. وقال أبو عليٍّ الطائفُ كالخاطر، والطّيف كالخطرة، وقوله: تَذَكَّرُوا: إشارة إلى الاستعاذة المأمور بها، وإلى ما للَّه عزَّ وجلَّ من الأوامر والنواهي في النازلة التي يقع تعرُّض الشيطانِ فيها، وقرأ ابنُ الزُّبَيْر: «مِن الشَّيْطَان تَأَمَّلُوا فإِذَا هُمْ». [١٥٤]

أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أدرك شيئا من وسوسة الشيطان أن يستعيذ بالله وجملة { إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } علة لأمره بالاستعاذة، أي: استعذ به، والتجئ إليه، فإنه يسمع ذلك منك ويعلم به، وجملة { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ } تذكروا مقررة لمضمون ما قبلها، أي: إن شأن الذين يتقون الله وحالهم هو التذكر لما أمر الله به من الاستعاذة به والإلتجاء إليه عند أن يمسهم طائف من الشيطان وإن كان يسيراً. قال النحاس: ومعناه في اللغة ما يتخيل في القلب، أو يرى في النوم، وكذا معنى طائف. وسميت الوسوسة طيفا، لأنها لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال { فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ } بسبب التذكر أي: منتبهون، وقيل: على بصيرة. [١٥٥]

وعن ابن عباس في الآية قال: الطائف اللمة من الشيطان { تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ } يقول: إذا هم منتهون عن المعصية آخذون بأمر الله عاصون للشيطان وإخوانهم. [١٥٦]

---

[١٥٣] إبن كثير: " البداية والنهاية"، 3/ 534. محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ): " معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، 3/ 317، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): " الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، 7/ 349- 350.

[١٥٤] الثعالبي: " الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، 3/ 108.

[١٥٥] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): " فتح القدير"، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ، 2/ 318.

[١٥٦] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ): " الدر المنثور"، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ، 3/ 366.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومعنى الآية إن الذين اتقوا وهم خيار المؤمنين الذين وصفوا في أول سورة البقرة إذا مسهم أي ألم أو اتصل بهم طيف أو طائف من الشيطان ليحملهم بوسوسته على المعصية، أو ينزغ بينهم لإيقاع البغضاء والتفرقة { تَذَكَّرُوا } أن هذا من عدوهم الشيطان وإغوائه، وما أمر الله تعالى به في هذه الحال من الاستعاذة به، والالتجاء إليه في الحفظ منه، فهو إنما تأخذ وسوسته الغافلين عن أنفسهم لا يحاسبونها على خواطرها، الغافلين عن ربهم لا يراقبونه في أهوائها وأعمالها، ولا شيء أقوى على طرد الشيطان من ذكر الله تعالى بالقلب، ومراقبته في السر والجهر، فذكر الله تعالى بأي نوع من أنواعه يقوي في النفس حب الحق ودواعي الخير، ويضعف فيها الميل إلى الباطل والشر، حتى لا يكون للشيطان مدخل إليها، فهو إنما يزين لها بالباطل والشر بقدر استعدادها لأي نوع منهما. فإن وجد بالغفلة مدخلًا إلى قلب المؤمن المتقي، لا يلبث أن يشعر به؛ لأنه غريب عن نفسه، ومتى شعر ذكر فأبصر فخنس الشيطان وابتعد عنه، وإن أصاب منه غرةً قبل تذكره تاب من قريب. وقال بعضهم: تذكروا وعده ووعيده – ومال الأقوال كلها واحد، وهو يعمها – كما تقيده قاعدة حذف المفعول –، وقال بعضهم: تذكروا ما أمر الله تعالى به ونهى عنه، وقال آخرون: تذكروا عقاب الله لمن أطاع الشيطان وعصى الرحمن، وجزيل ثوابه لمن عصى الشيطان وأطاع الرحمن { فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ } أي: فإذا هم أولوا بصيرة وعلم يربأ بأنفسهم أن تطيع الشيطان. [١٥٧]

إن الإنسان يشعر بقدر علمه بتنازع دواعي الخير والشر والحق والباطل في نفسه، وأن لداعية الحق والخير ملكًا يقويها، ولداعية الباطل والشر شيطانًا يقويها، فمثل المؤمن في عدم تمكن الشيطان من إغوائه، وإن تمكن من مسه، كمثل المرء الصحيح المزاج القوي الجسم النظيف الثوب والبدن والمكان، لا تجد الأمراض المفسدة للصحة؛ استعدادًا لإفساد مزاجه وإصابته بالأمراض، فهي تظل بعيدةً عنه، فإن مسه شيء منها بدخوله في معدته أو دمه فتكت بها نسم الصحة والعافية فحالت دون فتكها به – وهو ما يسمى في عرف الطب المناعة – وكذلك يكون قوي الروح بالإيمان والتقوى غير مستعد لتأثير الشيطان في نفسه، فهو يطوف بها يراقب غفلتها وعروض بعض الأهواء النفسية لها من شهوة أو غضب أو داعية حسد أو انتقام، فمتى عرضت افترصها، فلابس النفس وقواها فيها، كما تلابس الحشرات القذرة أو جنة الأمراض الخفية ما يعرض من القذر للنظيف والضعف للقوي، فإذا

[١٥٧] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ): " تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، 9/ 453- 454.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أهملها بالغفلة عنها فعلت فعلها، وإذا تداركها نجا من ضررها، ويحسن أن يعبر عن هذا بالحصانة، فيقال: مناعة جسدية وحصانة نفسية أو روحية. [١٥٨]

فأمره أن يحترز من شر شياطين الإنس بدفع إساءتهم إليه بالتى هى أحسن، وأن يدفع شر شياطين الجن بالاستعاذة منهم.

ونظير هذا قوله فى سورة الأعراف: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩] .

وأمره بدفع شر الجاهلين بالإعراض عنهم، ثم أمره بدفع شر الشيطان بالاستعاذة منه فقال: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف: ٢٠٠] .

ونظير ذلك قوله فى سورة فصلت: {وَلا تَسْتَوِى الحسَنَةُ وَلا السيِّئَةُ ادْفَعْ بِالتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَه عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِى حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤] .

فهذا لدفع شر شياطين الإنس ثم قال: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم} [فصلت: ٣٦] وقال هاهنا: {إنه هو السميع العليم} [فصلت: ٣٦] ، فأكد بإن وبضمير الفصل وأتى باللام فى {السميع العليم} [فصلت: ٣٦] . وقال فى الأعراف: {إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف: ٢٠٠] .[١٥٩]

وقال تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِك مِنْ هَمَزاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨] .

والظاهر أن الهمز نوع غير النفخ والنفث، وقد يقال- وهو الأظهر- إن همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميع إصاباتهم لابن آدم، وإذا قرنت بالنفخ والنفث كانت نوعاً خاصاً، كنظائر ذلك ثم قال: {وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [المؤمنون: ٩٨] .

والهمزات: جمع همزة كتمرات وتمرة. وأصل الهمز الدفع، قال أبو عبيد عن الكسائي: همزته، ولَمَزْتُهُ، ولهزته، ونهزته- إذا دفعته، والتحقيق: أنه دفع بنَخْز، وغمز يشبه الطعن، فهو دفع خاص، فهمزات الشياطين: دفعهم الوساوس والإغواء إلى القلب، قال ابن عباس والحسن: "همزات الشياطين: نزغاتهم ووساوسهم" وفسرت همزاتهم بنفخهم ونفثهم، وهذا قول مجاهد، وفسرت بخنقهم وهو المؤتة التى تشبه الجنون.

---

[١٥٨] محمد رشيد بن علي رضا: " تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، 9/ 454.

[١٥٩] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): " إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ، 1/ 96.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن زيد: في أموري. وقال الكلبي: عند تلاوة القرآن، وقال عكرمة: عند النزع والسياق، فأمره أن يستعيذ من نوعي شر إصابتهم له بالهمز وقربهم ودنوهم منه.

فتضمنت الاستعاذة أن لا يمسوه ولا يقربوه، وذكر ذلك سبحانه عقيب قوله: {ادْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يصِفُونَ} [المؤمنون: ٩٦] . [١٦٠]

المبحث الثالث

القول الحسن

وسيلة لدفع النزغ الشيطاني

قال الله عز وجل في سورة فصلت: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [فصلت:٣٦]. وقد وردت هذه الآية بعد قوله سبحانه وتعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ }.

يقول الطبري في قول تعالى: { وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَة} ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته. و قوله سبحانه وتعالى: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوُّهم، كأنه وليّ حميم. وقال آخرون: معنى ذلك: ادفع بالسلام على من أساء إليك إساءته. [١٦١]

---

[١٦٠] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): " إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"، 1/ 95- 96.

[١٦١] الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 21/ 471.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذهب جمهور المفسرين للآية: ((ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))، أي: " ادفع بالخصلة التي هي أحسن من عملهم ومن خصلتهم وأكرم من فعالهم ومن إيذائهم وظلمهم.". [١٦٢]

أخرج عبد الرَّزَّاق وَسَعِيد بن مَنْصُور وَعبد بن حميد وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الْإِيمَان عَن مُجَاهِد رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحسن} قَالَ: السَّلَام إِن تسلم عَلَيْهِ إِذا لَقيته.

وَأخرج عبد بن حميد عَن عَطاء رَضِي الله عَنهُ {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحسن} قَالَ: السَّلَام.

وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي قَوْله {وَلَا تستوي الْحَسَنَة وَلَا السَّيِّئَة ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحسن} قَالَ: ألقه بِالسَّلَامِ {فَإِذا الَّذِي بَيْنك وَبَينه عَدَاوَة كَأَنَّهُ ولي حميم}.

وَأخرج عبد الرَّزَّاق وَعبد بن حميد عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله { كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } قَالَ: ولي رَقِيب.

أخرج ابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم وَالْبَيْهَقِيّ فِي سنَنه عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي قَوْله {وَلَا تستوي الْحَسَنَة وَلَا السَّيِّئَة ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحسن} قَالَ: أَمر الله الْمُؤمنِينَ بِالصبرِ عِنْد الْغَضَب والحلم عِنْد الْجَهْل وَالْعَفو عِنْد الإِساءة فَإِذا فعلوا ذَلِك عصمهم الله من الشَّيْطَان وخضع لَهُم عدوهم { كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }. [١٦٣]

وقوله تعالى: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}: " يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، ويعفوك عمن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك من قِبلهم". [١٦٤]

قال ابن عباس: الحسنة لا إله إلا الله، والسيئة الشرك. وقيل: الحسنة الطاعة، والسيئة الشرك. وهو الأول بعينه. وقيل: الحسنة المداراة، والسيئة الغلظة. وقيل: الحسنة العفو، والسيئة الانتصار. قال ابن عباس: أي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك. وعنه أيضا: هو الرجل يسب الرجل فيقول الآخر إن كنت صادقا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك. وكذلك يروى في الأثر: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال ذلك لرجل نال منه. وقال الضحاك: الحسنة العلم، والسيئة الفحش. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الحسنة حب آل الرسول، والسيئة بغضهم. "قوله تعالى:" ادفع بالتي هي أحسن "نسخت بآية السيف، وبقي المستحب من ذلك: حسن

---

[١٦٢] محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: ١٤١٩هـ): "تفسير القرآن الكريم"، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٣٥٧ درساً].

[١٦٣] السيوطي: " الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، 7/ 327.

[١٦٤] الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 21/ 471.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العشرة والاحتمال والإغضاء. وقال الفراء: لا يستوي ما أنت عليه من التوحيد، وما المشركون عليه من الشرك. [١٦٥]

قال القاشاني: " أي إذا أمكنك دفع السيئة من عدوك بالحسنة، التي هي أحسن، فلا تدفعها بالحسنة التي دونها، فكيف بالسيئة؟ فإن السيئة لا تندفع بالسيئة، بل تزيد وتعلو ارتفاع النار بالحطب. فإن قابلتها بمثلها كنت منحطا إلى مقام النفس، متبعا للشيطان، سالكا طريق النار، ملقيا لصاحبك في الأوزار، وجاعلا له ولنفسك من جملة الأشرار، متسببا لازدياد الشر، معرضا عن الخير. وإن دفعتها بالحسنة، سكّنت شرارته، وأزلت عداوته، وتثبت في مقام القلب على الخير، وهديت إلى الجنة وطردت الشيطان وأرضيت الرحمن، وانخرطت في سلك الملكوت، ومحوت ذنب صاحبك بالندامة، ثم أشار تعالى إلى علة الأمر وثمرته بقوله: فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ أي صديق أو قريب حَمِيمٌ أي شديد الولاء. وأصل الحميم الماء الشديدة حرارته. كنى به عن الولي المخلص في وده، لما يجد في نفسه من حرارة الحب والشوق والاهتمام نحو مواليه ". [١٦٦]

ومعناه: " أي: ادفع بالحالة التي هي أحسن السيئة. والمعنى: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، وبعفوك إساءة من أساء إليك، وبصبرك على مكروه من تعدى عليك ". [١٦٧]

وَقَالَ الله جلّ وَعز: { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (فصلت: ٣٦).

قال الأزهري: " ونزغ الشيطانِ: وساوسه ونخسهُ فِي الْقلب بِمَا يسوِّل للْإِنْسَان منَ المعاصي". [١٦٨]

عن سليمان بن صرد رضي الله عنه، قال: استب رجلان قرب النبي صلى الله عليه وسلم، فاشتد غضب أحدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

---

[١٦٥] القرطبي: " الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، 15/ 361.

[١٦٦] القاسمي: " محاسن التأويل "، 8/ 340.

[١٦٧] أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ): " الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه"، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، 10/ 6525.

[١٦٨] محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ): " تهذيب اللغة"، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، 8/ 78.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

" فقال الرجل: أمجنونًا تراني؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [فصلت: ٣٦] «هذا حديث صحيح الإسناد». [١٦٩]

وعن همام، سمعت أبا هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار». [١٧٠]

يخبر الله سبحانه تبارك وتعالى العباد عن كيفية مدافعة الشيطان وطرد وسوسة عن أنفسهم بعد أن ذكر كيف ندفع بالتي هي أحسن السيئة، في قوله: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت:٣٤]، فيتعامل المؤمن مع غيره بالرفق قدر المستطاع، ولعله يؤجر على الرفق الأجر العظيم من الله سبحانه تبارك وتعالى، وليس المعنى أن الإنسان يذل نفسه أو يتنازل عن حقه إذا كان مظلوماً ولا يقدر أن يأخذ حقه، ولكن المعنى: أن الإنسان يحسن إلى من أساء إليه، فإذا أساء إليك إنسان في وقت وقدرت أن تنتصف منه وأن تنتصر عليه فلك خياران: إما أن تفعل وتنتصر ولا شيء عليك، وليس عليك من سبيل في ذلك، وإما أن تعفو وتصفح مع قدرتك عليه، فهذا أعظم لك في الأجر عند الله سبحانه تبارك وتعالى. وقد بين الله سبحانه وتعالى أنك تدفع الإنسان العدو بالحسنى؛ لعل الله عز وجل يؤلف قلبه، والنبي صلى الله عليه وسلم علمنا بحسن خلقه وبما علمه من ربه سبحانه تبارك وتعالى أن ندفع كيد الإنسان بالتي هي أحسن، قال الله عز وجل: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} [المؤمنون:٩٦]، وقال: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت:٣٤]. [١٧١]

---

[١٦٩] أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ): " المستدرك على الصحيحين"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م، 2/ 478.

[١٧٠] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، 9/ 49.

[١٧١] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة: " تفسير الشيخ أحمد حطيبة"، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٥١٠ درساً]

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا كان الشيطان ينزغ ويوسوس للإنسان، فقد علمنا الله عز وجل أن نتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال هنا سبحانه: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت:٣٦] وقال: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف:٢٠٠]، ومعنى قولنا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي: ألجأ وألوذ وأستغيث وأستعصم بالله سبحانه من كيد الشيطان. ومن أعظم الأشياء التي تؤلف بين قلوب المؤمنين أن تسلم على صاحبك، فإذا كان بينك وبين إنسان شيء ومررت عليه فالق عليه السلام، فهذا خير عظيم وتؤجر عليه، فإذا قلت له: السلام عليك فتؤجر عشر حسنات، وإذا قلت: السلام عليك ورحمة الله، فتؤجر عشرين حسنة، وإذا قلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته فتؤجر ثلاثين حسنة. وكذلك التسليم مع المصافحة تؤجر عليه هذا الأجر وأيضاً تتساقط الذنوب من بين أيديكما فقد جاء في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجة من حديث البراء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، يعني: يأخذ أحدهما بيد صاحبه، قال: فلا يتفرقان إلا وقد غفر الله لهما، أو قال: فتتساقط الذنوب من بين أيديهما). فالتسليم يرفع عن قلب الإنسان ما فيه من شحناء وغضب وبغض وكراهية كما قال النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه. فإذاً: من ضمن الدفع بالتي هي أحسن أن تسلم على أخيك. وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينك) فالسلام يجلب المودة والمحبة بين المسلمين، والتسليم يرفع الشحناء والعداوة والبغضاء التي في القلوب، والإنسان الذي يمر على الآخر ولا يسلم عليه قد يُحدث في نفسه شيئاً فيعامله بالمثل. فإذا سلمت على صاحبك ومددت يدك إليه مسلماً مصافحاً محباً له، فقد بدأت بالحسنى، فتكون النتيجة كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الذنوب تتساقط من بين أيديكما. [١٧٢]

عن أبي بن كعب، قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءةً أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءةً سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءةً أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرآ، فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني، ضرب في صدري، ففضت عرقًا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقًا، فقال لي: " يا أبي لأرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثانية اقرأه على

[١٧٢] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة: " تفسير الشيخ أحمد حطيبة"، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٥١٠ درساً]

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم، حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم ". [١٧٣]

يشرح محمد فؤاد عبد الباقي ناقلاً عن العلماء على حديث أبي ابن كعب المتقدم، فيقول: " (فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية) معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لأنه في الجاهلية كان غافلا أو متشككا فوسوس الشيطان الجزم بالتكذيب قال القاضي عياض معنى قوله سقط في نفسي أنه اعترته حيرة ودهشة قال وقوله ولا إذ كنت في الجاهلية معناه أن الشيطان نزغ في نفسه تكذيبا لم يعتقده قال وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها لا يؤاخذ بها قال القاضي قال المازري معنى هذا أنه وقع في نفس أبي بن كعب نزغة من الشيطان غير مستقرة ثم زالت في الحال حين ضربه النبي صلى الله عليه وسلم بيده في صدره ففاض عرقا (ضرب في صدري ففضت عرقا) قال القاضي ضربه صلى الله عليه وسلم تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم قال ويقال فضت عرقا وفضت بالضاد المعجمة والصاد المهملة قال وروايتنا هنا بالمعجمة قال النووي وكذا هو في معظم أصول بلادنا وفي بعضها بالمهملة (مسألة تسألينها) معناه مسألة مجابة قطعا وأما باقي الدعوات فمرجوة ليست قطعية الإجابة ". [١٧٤]

يقول الإمام النووي شارحاً الحديث:

" قال: " فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية" معناه وسوس لي الشيطان تكذيبًا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لأنه في الجاهلية كان غافلًا أو متشككًا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب، قال القاضي عياض: " معنى قوله سقط في نفسي أنه اعترته حيرة ودهشة"، قال وقوله: " ولا إذ كنت في الجاهلية " معناه أن الشيطان نزغ في نفسه تكذيبًا لم يعتقده، قال: "وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها لا يؤاخذ بها"، قال القاضي: قال المازري: "معنى هذا أنه وقع في نفس أبي بن كعب نزعة من الشيطان غير مستقرة ثم زالت في الحال حين ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده في صدره ففاض عرقًا" قوله: فلما رأى رسول الله صلى الله عليه

[١٧٣] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ، 1/ 561.

[١٧٤] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، 1/ 561.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقًا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقًا" قال القاضي: "ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبتًا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم"، قال: ويقال: "فضت عرقًا وفصت بالضاد المعجمة والصاد المهملة"، قال: "وروايتنا هنا بالمعجمة قلت وكذا هو في معظم أصول بلادنا وفي بعضها بالمهملة قوله صلى الله عليه وسلم أرسل إلي أن اقرأ على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثانية أن اقرأ على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف هكذا وقعت هذه الرواية الأولى في معظم الأصول ووقع في بعضها زيادة قال أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثانية اقرأه على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف ووقع في الطريق الذي بعد هذا من رواية بن أبي شيبة أن قال اقرأه على حرف وفي المرة الثانية على حرفين وفي الثالثة على ثلاثة وفي الرابعة على سبعة هذا مما يشكل معناه والجمع بين الروايتين وأقرب ما يقال فيه أن قوله في الرواية الأولى فرد إلي الثالثة المراد بالثالثة الأخيرة وهي الرابعة فسماها ثالثةً مجازًا وحملنا على هذا التأويل تصريحه".[١٧٥]

وقال علي القاري في شرحه للحديث: " (فسقط في نفسي من التكذيب) أي خطر في قلبي من التكذيب من جهة تحسينه صلى الله عليه وسلم قراءتهما ظناً مني إن كلام الله الواحد يكون على وجه واحد ولا يجوز أن يقرأه كل رجل كيفما شاء (ولا إذ كنت في الجاهلية) أي ولا وقع في نفسي التكذيب والوسوسة إذ كنت في الجاهلية وهذا مبالغة "لأنه كان في الجاهلية جاهلاً فلا يستبعد وقوع التكذيب والوسوسة إذ ذاك. وأما بعد حصول اليقين والمعرفة فهو بعيد وأمر عظيم". [١٧٦]

[١٧٥]أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ): "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ، 6/ 102.

[١٧٦]أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ): " مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م، 7/ 308.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الرابع
من إخوة يوسف إلى فتح مكة
خاطرة حول العفو الكريم للأنبياء

{ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ }:

يقص علينا القران الكريم قصة يوسف عليه السلام مع إخوته:

{ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ } (يوسف: ٧ – ١٨).

وبعد كل ما فعله إخوة يوسف عليه السلام به، وبعد كل الأحداث الأليمة التي مرت بالنبي الكريم يوسف عليه السلام، التي كانت من جراء ما فعلوه به، ها هم إخوة يوسف عليه السلام يأتون إليه معتذرين، بعد أن عرفوه فيقولون له:

{ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ } (يوسف: ٩٠-٩١).

هنا تتجلى لحظة كرم الأنبياء:

{ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ } (يوسف: ٩٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كانت الفرصة سانحة أمام يوسف عليه السلام لأن ينتقم لنفسه من كل ما فعله إخوته به، أن ينتقم من أجل كل تلك الأحداث الأليمة التي مرت به من جراء حسد الإخوة، ومن جراء ما فعلوه به، لكن هنا تتجلى لحظة كرم الأنبياء ونبل أخلاقهم وطيبة قلوبهم، في تلك اللحظة التي كان بإمكانه أن يعاقبهم وأن ينتقم منهم لكنه يقرر ليس فقط أن يعفو عنهم بل أن يدعو الله لهم بالمغفرة:

{ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ } (يوسف: ٩٢).

عن قتادة في قوله: { لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ } لم يثرِّب عليهم أعمالهم.

وعن عبد الله بن الزبير، قوله: { لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ } ، قال: قال سفيان: لا تعيير عليكم.

وعن ابن إسحاق: { لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ } أي لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم.

وعن السدي قال، اعتذروا إلى يوسف فقال: { لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ } يقول: لا أذكر لكم ذنبكم. وقوله: { يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }، وهذا دعاء من يوسف لإخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا إليه وركبوا منه من الظلم، يقول: عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم، فستره عليكم{ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }، يقول: والله أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه، وأناب إلى طاعته بالتوبة من معصيته. كماعن ابن إسحاق: { يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } حين اعترفوا بذنبهم. [١٧٧]

ثم بعد أن يخروا له سجداً، وبعد أن تنتهي الأحداث بانتصاره على كل الظروف الصعبة والألسنة التي مرت به، ها هو من جديد يُبين أن قلبه الشريف عليه السلام ليس فيه إلا الصفح والعفو والمغفرة:

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ } (يوسف: ٩٩- ١٠٠).

قال تعالى حاكياً قصة يوسف عليه السلام مع أبويه وإخوته: { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقال ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقال يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }.

[١٧٧] الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 16/ 247.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعند أهل الكتاب أن يعقوب لما وصل إلى أرض جاشر وهي أرض بلبيس خرج يوسف لتلقيه وكان يعقوب قد بعث ابنه يهوذا بين يديه مبشرًا بقدومه وعندهم أن الملك أطلق لهم أرض جاشر يكونون فيها ويقيمون بها بنعمهم ومواشيهم وقد ذكر جماعة من المفسرين أنه لما أزف قدوم نبي الله يعقوب وهو إسرائيل أراد يوسف أن يخرج لتلقيه فركب معه الملك وجنوده خدمةً ليوسف وتعظيمًا لنبي الله إسرائيل وأنه دعا للملك وأن الله رفع عن أهل مصر بقية سني الجدب ببركة قدومه إليهم فالله أعلم وكان جملة من قدم مع يعقوب من بنيه وأولادهم فيما قاله أبو إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن ابن مسعود ثلاثةً وستين إنسانًا وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد كانوا ثلاثةً وثمانين إنسانًا. وقال أبو إسحاق عن مسروق دخلوا وهم ثلاثمائة وتسعون إنسانًا: قالوا وخرجوا مع موسى وهم أزيد من ستمائة ألف مقاتل وفي نص أهل الكتاب أنهم كانوا سبعين نفسًا وسموهم. ويُبين إبن كثير أن في هذه الاية إخبار عن حال اجتماع المتحابين بعد الفرقة الطويلة التي قيل إنها ثمانون سنةً وقيل ثلاث وثمانون سنةً وهما روايتان عن الحسن. وقيل خمس وثلاثون سنةً قاله قتادة. وقال محمد ابن إسحاق ذكروا أنه غاب عنه ثماني عشرة سنةً قال وأهل الكتاب يزعمون أنه غاب عنه أربعين سنة وظاهر سباق القصة يرشد إلى تحديد المدة تقريبًا فإن المرأة راودته وهو شاب ابن سبع عشرة سنةً فيما قاله غير واحد فامتنع فكان في السجن بضع سنين وهي سبع عند عكرمة وغيره. ثم أخرج فكانت سنوات الخصب السبع ثم لما أمحل الناس في السبع البواقي جاء إخوتهم يمتارون في السنة الأولى وحدهم وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين. وفي الثالثة تعرف إليهم وأمرهم بإحضار أهلهم أجمعين فجاءوا كلهم { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ } (يوسف: 99). اجتمع بهما خصوصًا وحدهما دون إخوته، لما اقتربوا من باب مصر، { قَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ } (يوسف: 99). [١٧٨]

وقال الله تعالى: { وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ } قيل كانت أمه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة. وقال بعض المفسرين فأحياها الله تعالى وقال آخرون بل كانت خالته ليا والخالة بمنزلة الأم. وقال ابن جرير وآخرون بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه إلى يومئذ فلا يعول على نقل أهل الكتاب فيما خالفه وهذا قوي والله أعلم. ورفعهما على العرش أي أجلسهما معه على سريره { وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً } أي سجد له الأبوان والإخوة الأحد عشر تعظيمًا وتكريمًا وكان هذا مشروعًا لهم ولم يزل ذلك معمولًا به في سائر الشرائع حتى حرم في ملتنا. { وَقال

[١٧٨] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): "البداية والنهاية"، دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، 1/ 217- 218.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ } أي هذا تعبير ما كنت قصصته عليك من رؤيتي الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر حين رأيتهم لي ساجدين وأمرتني بكتمانها ووعدتني ما وعدتني عند ذلك { قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ } أي بعد الهم والضيق جعلني حاكمًا نافذ الكلمة في الديار المصرية حيث شئت { وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ } أي البادية وكانوا يسكنون أرض العربات من بلاد الخليل { مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي } أي فيما كان منهم إلي من الأمر الذي تقدم وسبق ذكره ثم قال{ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاء } أي إذا أراد شيئًا هيأ أسبابه ويسرها وسهلها من وجوه لا يهتدي إليها العباد بل يقدرها وييسرها بلطيف صنعه وعظيم قدرته { إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم } أي بجميع الأمور { الْحَكِيم } في خلقه وشرعه وقدره. [١٧٩]

وفي نزغ الشيطان وجهان: أحدهما: أنه إيقاع الحسد ، قاله ابن عباس. الثاني: معناه حرّش وأفسد ، قاله ابن قتيبة. [١٨٠]

فكان ظاهر ما امتحن به يوسف من مفارقة أبيه وإلقائه في السجن وبيعه رقيقا ثم مراودة التي هو في بيتها عن نفسه وكذبها عليه وسجنه محنا ومصائب وباطنها نعما وفتحا جعلها الله سببا لسعادته في الدنيا والآخرة، ومن هذا الباب ما يبتلي به عباده من المصائب ويأمرهم به من المكاره وينهاهم عنه من الشهوات هي طرق يوصلهم بها إلى سعادتهم في العاجل والآجل وقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقد قال صلى الله عليه وسلم: "لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك إلا للمؤمن". وفي قول يوسف الصديق: {يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} الإخبار أن الله يلطف لما يريده فيأتي به بطرق خفية لا يعلمها

[١٧٩] ابن كثير: "البداية والنهاية"، 1/ 218.

[١٨٠] أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ): " تفسير الماوردي = النكت والعيون"، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، بدون تاريخ، 3/ 84.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناس واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية ومنه التلطف كما قال أهل الكهف: {وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً}. [١٨١]

وهذا كله مما يبين أنه سبحانه يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب الحميدة والحكم العظيمة التي لا تدركها عقول الخلق مع ما في ضمنها من الرحمة التامة والنعمة السابغة والتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته فكم في أكل آدم من الشجرة التي نهى عنها وإخراجه بسببها من الجنة من حكمة بالغة لا تهتدي العقول إلى تفاصيلها وكذلك ما قدره لسيد ولده من الأمور التي أوصله بها إلى أشرف غاياته وأوصله بالطرق الخفية فيها إلى أحمد العواقب وكذلك فعله بعباده وأوليائه يوصل إليهم نعمة ويسوقهم إلى كمالهم وسعادتهم في الطرق الخفية التي لا يهتدون إلى معرفتها إلا إذا لاحت لهم عواقبها وهذا أمر يضيق الجنان عن معرفة تفاصيله ويحصر اللسان عن التعبير عنه وأعرف خلق الله به أنبياؤه ورسله وأعرفهم به خاتمهم وأفضلهم وأمته في العلم به على مراتبهم ودرجاتهم ومنازلهم من العلم بالله وبأسمائه وصفاته وهو سبحانه قد أحاط علما بذلك كله قبل السماوات والأرض وقدره وكتبه عنده ثم يأمر ملائكته بكتابه ذلك من الكتاب الأول قبل خلق العبد فيطابق حاله وشأنه لما كتب في الكتاب ولما كتبته الملائكة لا يزيد شيئا ولا ينقص مما كتبه سبحانه وأثبته عنده كان في علمه قبل أن يكتبه ثم كتبه كما في علمه. وكذلك ما فعل الله سبحانه وتعالى بآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم من الأمور التي هي في الظاهر محن وابتلاء وهي في الباطن طرق خفية أدخلهم بها إلى غاية كمالهم وسعادتهم فتأمل قصة موسى وما لطف له من إخراجه في وقت ذبح فرعون للأطفال ووحيه إلى أمه أن تلقيه في اليم وسوقه بلطفه إلى دار عدوه الذي قدر هلاكه على يديه وهو يذبح الأطفال في طلبه فرماه في بيته وحجره على فراشه ثم قدر له سبباً أخرجه من مصر وأوصله به إلى موضع لا حكم لفرعون عليه ثم قدر له سببا أوصله به إلى النكاح والغنى بعد العزوبة والعيلة ثم ساقه إلى بلد عدوه فأقام عليه به حجته ثم أخرجه وقومه في صورة الهاربين الفارين منه وكان ذلك عين نصرتهم على أعدائهم وإهلاكهم وهم ينظرون. [١٨٢]

" وقول يوسف لأبيه وإخوته: { هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ} [يوسف: ١٠٠] ولم يقل: أخرجني من الجب، حفظًا للأدب مع إخوته. وتفتيًا عليهم: أن لا يخجلهم

[١٨١] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): " شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص 34– 35.

[١٨٢] ابن قيم الجوزية: " شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، ص 35.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بما جرى في الجب. وقال {وجاء بكم من البدو} [يوسف: ١٠٠] ولم يقل: رفع عنكم جهد الجوع والحاجة. أدبًا معهم. وأضاف ما جرى إلى السبب. ولم يضفه إلى المباشر الذي هو أقرب إليه منه. فقال: {مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} [يوسف: ١٠٠] [يوسف: ١٠٠] فأعطى الفتوة والكرم والأدب حقه. ولهذا لم يكن كمال هذا الخلق إلا للرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم". [١٨٣]

العفو النبوي في مكة:

يذكرنا هذا الموقف النبيل والصفح الجميل من قبل النبي يوسف عليه السلام بما فعله النبي عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة.

فما وقع ليوسف عليه السلام مع إخوته يشبه ما وقع لنبينا –صلى الله عليه وسلم– من قريش، من نصبهم الحرب له، وإرادتهم إهلاكه، وكانت العاقبة له، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش: كما قال يوسف: "{ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }، اذهبوا فأنتم الطلقاء"، أي العتقاء. [١٨٤]

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ليستلم الركن بمحجن فى يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده، ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة فقال:

«لا إله إلا الله، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها

[١٨٣] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، 2/ 360.

[١٨٤] أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ): "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، 8/ 144- 145.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالآباء، الناس لآدم وآدم من تراب» . ثم تلا هذه الآية: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات: ١٣] .

ثم قال: «يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فقام إليه على بن أبى طالب- رضى الله عنه- ومفتاح الكعبة فى يديه، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أين عثمان بن طلحة» ؟ فدعى له فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء» . وقال لعلى فيما حكى ابن هشام: «إنما أعطيكم ما ترزأون لا ما ترزأون». [١٨٥]

وذكر أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه أرسل بلالاً رضي الله تعالى عنه إلى عثمان بن طلحة يأتي بمفتاح الكعبة، فجاء إلى عثمان فأخبره، فقال إنه عند أمي، فرجع بلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن المفتاح عند أمه، فبعث إليها رسولا، فقالت: لا واللات والعزى لا أدفعه أبدا، فقال عثمان: يا رسول الله أرسلني أخلصه لك منها، فأرسله، فجاء إليها فطلبه منها، فقالت: لا واللات والعزى لا أوصله إليك أبدا، فقال: يا أمه ادفعيه إليّ فإنه قد جاء أمر غير ما كنا عليه، إن لم تفعلي قتلت أنا وأخي ويأخذه منك غيري، فأدخلته حجرتها وقالت: أي رجل يدخل يده ههنا، أي وقالت له: أنشدك الله أن لا يكون ذهاب مأثرة قومك على يديك، كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم ينتظر حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، فبينما هو يكلمها إذ سمعت صوت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الدار، وعمر رضي الله عنه رافعا صوته وهو يقول: يا عثمان اخرج، فقالت: يا بني خذ المفتاح، فإن تأخذه أحب إليّ من أن تأخذه تيم وعدي: أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فأخذه عثمان، فخرج يمشي حتى إذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، عثر عثمان فسقط منه المفتاح، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المفتاح فحنى عليه وتناوله، أي وفي رواية:

[١٨٥] سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: ٦٣٤هـ): "الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء"، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، 1/ 509- 510.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فاستقبلته ببشر، واستقبلني ببشر فأخذه مني وفتح الكعبة. وفي رواية أنه قال له: هاك المفتاح بأمانة الله. وفي لفظ: لما أبت أمه أن تعطيه المفتاح، قال: والله لتعطينه أو لأخرجن هذا السيف من منكبي، فلما رأت ذلك أعطته إياه، فجاء به ففتح عثمان له الباب. [١٨٦]

المبحث الخامس

طرق أخرى

للتخلص من نزغ الشيطان

وضع ابن القيم في كتابه " بدائع الفوائد" (قاعدة نافعة) للتخلص من نزغ الشيطان، وهي "فما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز به منه " وذلك في عشرة أسباب:

الحرز الأول: الإستعاذة بالله من الشيطان أحدهما: الاستعاذة بالله من الشيطان قال تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} وفي موضع آخر {إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}. إن الأمر بالاستعاذة في سورة حم وقع بعد الأمر بأشق الأشياء على النفس وهو مقابلة إساءة المسيء بالإحسان إليه وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم كما قال الله تعالى والشيطان لا يدع العبد يفعل هذا بل يريه أن هذا ذل وعجز ويسلط عليه عدوه فيدعوه إلى الانتقام ويزينه له فإن عجز عنه دعاه إلى الإعراض عنه وأن لا يسيء إليه ولا يحسن فلا يؤثر الإحسان إلى المسيء إلا من خالفه وآثر الله تعالى وما عنده على حظه العاجل فكان المقام مقام تأكيد وتحريض فقال فيه: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} وأما في سورة الأعراف فإنه أمره أن يعرض عن الجاهلين وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالإحسان بل بالإعراض وهذا سهل على النفوس غير مستعص عليها فليس حرص الشيطان وسعيه في دفع هذا كحرصه على دفع المقابلة بالإحسان فقال: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}. حم المؤمن: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وفي صحيح البخاري عن عدي بن ثابت عن سليمان بن صرد قال: "كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبي صلى الله عليه وسلم

[١٨٦] علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ): "السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون"، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٤٢٧هـ، 3/ 341. وانظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ): "السيرة النبوية لابن هشام"، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م، ٢/ ٤١٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد" رواه البخاري ومسلم. [١٨٧]

الحرز الثاني: قراءة سورتي الفلق والناس فإن لهما تأثيرا عجيبا في الاستعاذة بالله تعالى من شر الشيطان ودفعه والتحصن منه ولهذا قال النبي: " ما تعوذ المتعوذون بمثلهما" وكان يعوذ بهما كل ليلة عند النوم، وأمر عقبة أن يقرأ بهما دبر كل صلاة، وقال: إن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يمسي وثلاثاً حين يصبح كفته من كل شيء.

الحرز الثالث: قراءة أية الكرسي ففي الصحيح من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: "وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقك وهو كذوب ذاك الشيطان" رواه البخاري.

الحرز الرابع: قراءة سورة البقرة ففي الصحيح من حديث سهل عن عبد الله عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تجعلوا بيوتكم قبورا وأن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان " رواه مسلم والترمذي.

الحرز الخامس: قراءة خاتمة سورة البقرة فقد ثبت في الصحيح من حديث أبي موسى الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه " رواه البخاري ومسلم وفي الترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان ". [١٨٨]

الحرز السادس: أول سورة {حم} المؤمن إلى قوله تعالى: {إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} مع آية الكرسي في الترمذي من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قرأ حم المؤمن إلى إليه المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن

[١٨٧] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): " بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، 2/ 267- 268.

[١٨٨] إبن قيم الجوزية: " بدائع الفوائد"، 2/ 268- 269.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح" ضعيف وعبد الرحمن المليكي وإن كان قد تكلم فيه من قبل حفظه فالحديث له شواهد في قراءة آية الكرسي وهو محتمل على غرابته.

الحرز السابع: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ففي الصحيحين من حديث سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشرة رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك " رواه البخاري ومسلم فهذا حرز عظيم النفع جليل الفائدة يسير سهل على من يسره الله تعالى عليه. [١٨٩]

الحرز الثامن: كثرة ذكر الله وهو من أنفع الحروز من الشيطان ففي الترمذي من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها وأنه كاد يبطئ بها فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ وقعدوا على الشرف فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو يرضى أن يكون عبده كذلك وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو بعجبه ريحها وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله. [١٩٠]

الحرز التاسع: الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يتحرز به منه ولا سيما عند توارد قوة الغضب والشهوة فإنها نار تغلي في قلب ابن آدم كما في الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

---

[١٨٩] إبن قيم الجوزية: " بدائع الفوائد"، ٢/ 269.

[١٩٠] إبن قيم الجوزية: " بدائع الفوائد"، ٢/ 270.

" ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض " صحيح وفي أثر آخر " إن الشيطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء" ضعيف فما أطفأ العبد جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة فإنها نار والوضوء يطفئها والصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال فيها على الله أذهبت أثر ذلك كله وهذا أمر تجربته تغني عن إقامة الدليل عليه.

الحرز العاشر: إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة. [١٩١]

ويقول ابن القيم: " ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يرى عيانًا، وهو شيطان الإنس، ونوع لا يرى، وهو شيطان الجن، أمر سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه، والعفو، وجمع بين النوعين في سورة الأعراف، وسورة المؤمنين، وسورة فصلت، والاستعاذة في القراءة والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن، والعفو والإعراض والدفع بالإحسان أبلغ في دفع شر شياطين الإنس". [١٩٢]

وينبغي على المؤمن أن يتجنب الغضب ما أمكن إلى ذلك سبيلاً، فالغضب من الشيطان، وفي السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال "ان الغضب من الشيطان وان الشيطان من النار وانما تطفأ النار بالماء فإذا غضب احدكم فليتوضأ". واثره منه كما في الصحيح ان رجلين استبا عند النبي حتى احمر وجه احدهما وانتفخت أوداجه فقال النبي صلى الله عليه وسلم " اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: "اعوذ بالله من الشيطان الرجيم" . [١٩٣]

---

[١٩١] إبن قيم الجوزية: " بدائع الفوائد"، ٢/ 270- 271.

[١٩٢] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): " زاد المعاد في هدي خير العباد"، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، 2/ 423.

[١٩٣] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): " إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان"، المحقق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان / مكتبة فرقد الخاني، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص 35.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

١- النزغ الشيطاني يهدف إلى الإفساد بين الناس من خلال حمل بعضهم على البعض الاخر، والإغراء بينهم من أجل التخريب والفساد الذي قد يعمهم بسبب هذا النزغ.

٢- نزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب. فإذا وسوس للإنسان الشيطان فينبغي أن لا يخضع له، بل إن شعر به يوسوس في الصدر فتتيعين الإستعاذة بالله وأن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٣- تلاوة القرآن وذكر الله من أعظم ما يتحصن به من خطر الشيطان ونزغه، ومن أعظم التحصن في ذلك تلاوة آية الكرسي والمعوذتين وسورة الكهف، وتلاوة القرآن في البيت تطرد الشيطان ووساوسه عن الرجل والمرأة والأولاد.

٤- ذكر الله تعالى بأي نوع من أنواعه يقوي في النفس حب الحق ودواعي الخير، ويضعف فيها الميل إلى الباطل والشر، حتى لا يكون للشيطان مدخل إليها.

٥- الطريقة التي تدفع بها نزغ الإنسان عند ظلمه واعتدائه أن تحسن إليه بالكلمة الطيبة وبالعطاء وبصلته وبالغض عن مساوئه. فالقول الحسن من أهم الوسائل لدفع نزغ الشياطين. والعفو والصفح من أفضل الطرق أيضاً لدفع نزغ الشياطين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قائمة المصادر والمراجع

(١) ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ): "كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني)"، المحقق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

(٢) إبن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي [ت: ٤٥٨هـ]: المحكم والمحيط الأعظم"، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ): " إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.

(٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ): " زاد المعاد في هدي خير العباد"، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٥) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ): " شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٦) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ): " إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان"، المحقق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان / مكتبة فرقد الخاني، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٧) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

(٨) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ): " بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

(٩) إبن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): " تفسير القرآن العظيم"، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(١٠) إبن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): "البداية والنهاية"، دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(١١) ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ): " سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط"، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

(١٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ): " لسان العرب"، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(١٣) إبن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ): "السيرة النبوية لابن هشام"، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

(١٤) الإدريسي، محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الحسني (المتوفى: ١٤١٩هـ): " تفسير القرآن الكريم "، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net]، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٣٥٧ درساً.

(١٥) الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ): " تهذيب اللغة"، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(١٦) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري"، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(١٧) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٨) البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: ٥١٠هـ): " معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

(١٩) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ): " أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٠) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): " الجامع الكبير - سنن الترمذي"، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

(٢١) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (المتوفى: ٨٧٥هـ): " الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

(٢٢) الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ): " أحكام القرآن"، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٢٣) الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ): "السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون"، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤٢٧هـ.

(٢٤) الحميري، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي ، أبو الربيع (المتوفى: ٦٣٤هـ): "الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء"، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

(٢٥) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف (المتوفى: ٧٤١هـ): " لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٢٦) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (المتوفى: ١٢٠٥هـ): " تاج العروس من جواهر القاموس"، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ.

(٢٧) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢٨) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

(٢٩) الزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ): "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٠) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ): " الدر المنثور"، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

(٣١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): " فتح القدير"، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

(٣٢) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: ١٧٠هـ): "كتاب العين"، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(٣٣) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: ١٣٣٢هـ): " محاسن التأويل"، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٣٤) القالي، أبو علي ، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ): " البارع في اللغة"، المحقق: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد – دار الحضارة العربية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٥م.

(٣٥) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ): " الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

(٣٦) القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ): " الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه"، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

(٣٧) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير (المتوفى: ٤٥٠هـ): " تفسير الماوردي = النكت والعيون"، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، بدون تاريخ.

(٣٨) المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني (المتوفى: ١٤١٤هـ): " مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٣٩) المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ): " فيض القدير شرح الجامع الصغير"، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

(٤٠) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ): "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٤١) النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ): " المستدرك على الصحيحين"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

(٤٢) حطيبة، الشيخ الطبيب أحمد: " تفسير الشيخ أحمد حطيبة"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٥١٠ درساً].

(٤٣) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ): " تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

(٤٤) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفهرس

الحكمة الأولى: أرض الله الواسعة: تأملات في الآية (٥٦) من سورة العنكبوت.
الحكمة الثانية: حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم، تأويل اصطلاحي.
الحكمة الثالثة: التبيان في شمولية المعرفة القرآنية، المدخل الأول إلى تفسير الحكمة القرآنية.
الحكمة الرابعة: القرآن والتوحيد: مدخل إلى التفسير التوحيدي للقرآن الكريم.
الحكمة الخامسة: الملكوت في الحكمة القرآنية.
الحكمة السادسة: ما المدينة التي لبست (لباس الجوع والخوف)؟
الحكمة السابعة: لماذا نصح نوح عليه السلام قومه بالاستغفار؟
الحكمة الثامنة: ففروا إلى الله.
الحكمة التاسعة: وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.
الحكمة العاشرة: كيف تتخلص من نزغ الشيطان، خطوات لمنع الشيطان من إعاقة تفكيرك وسلوكك.

هذا الكتاب منشور في